روايات عبير

مارجريت مايو

المطاردة الحلوة المريرة

www.elromancia.com
مرمورية

٢٠٥

مكتبة مدبولي الصغير

روايات عبير

دار المعارف

HARLEQUIN - «ABIR» - No. 205

www.elromancia.com

المطاردة الحلوة المريرة

ـ أنت تبدين كما لو كنت متغيرة تماماً عما كانت حالتك منذ دقيقتين فقط، وقت أن كنا فى الغابة.

ولم يخف المستكشف المغرور برادين كريست السر فى معارضته لوجود شارلى فى البعثة الاستكشافية، خوفاً عليها من الهلاك وسط الصحارى والغابات والأدغال.

ولكن فى النهاية، كان أبوها هو الذى حملها على البحث عنه والتصميم على المشاركة فى البحث عنه، فى أعقاب اختفائه المفاجىء. لقد كانت عاقدة العزم على البرهنة بأنها تستحق كل جدارة فى الاضطلاع بالمسئولية، ولم تكن تبحث عن الحب، فى ذلك الوقت العصيب.

ولكن ارتماؤها فى أحضان برادين فى الأدغال، أشعل شرارة الحب بينهما، ووجدت شارلى أخيراً الانسان الجدير بحبها وقلبها!

لبنان ١٩,٢٠ ل.ل	الكويت ١,٦٠ د	اليمن ٦,٤٠ ر	السودان ١,٢٨٠ م
سورية ١٩,٢٠ ل.س	الامارات ١٩,٢٠ د	تونس ٢,٤٠ د	
الأردن ١,٢٨٠ ف	البحرين ٢,٤٠ د	ليبيا ١,٦٠ د	U.K. £ 2,40
العراق ٨٠٠ ف	قطر ١٩,٢٠ ر	المغرب ٨ د	France F 16
السعودية ١٩,٢٠ ر	عمان ٢,٤٠ ر	مصر ٢٠٠ ق	Greece Drs 320
			Cyprus P 2,40

الفصـــل الأول

اختفاء سبنسر بليك

ـ يجب أن أرحل يا أماه. هذه هى الوسيلة الوحيدة التى بمقتضاها نستطيع أن نكتشف ما الذى جرى لأبى. إننى لا أطيق الجلوس بدون أن أفعل شيئاً. لكم كنت أتوق إلى أن أذهب معه.

وورد على بال الفتاة «شارلى»، أنها لو كانت قد فعلت، لكان كلاهما قد اختفى حينئذ! وكانت فكرة مريعة، ألقت بها شارلى فى حزم وراء ظهرها.

تجمد وجه «ايزابيل بليك» من وطأة الألم، وكان واضحاً أنها غارقة فى التفكير فى نفس الشىء. غير أنها جربا كل وسيلة أخرى أمكنها أن يجرباها. ليس من أحد، ولا حتى سلطات دولة «بيروى»، التى أبدت ذلك القدر من الإهتمام برحلة «سبنسر بليك»، باستطاعتها أن يخبرهما عما حدث له. لقد اختفى فى ظروف غامضة، وبدون أثر.

اغرورقت عينا إيزابيل بالدموع، وهى تنظر إلى ابنتها وتقول:

ـ ولكن ماذا أفعل إذا فقدتك أنت أيضاً؟ كيف سيكون حالى آنذاك؟ أنا لم أحبذ أبداً قيامك أنت أو أبيك بهذه الرحلات. إنها رحلات مجنونه، يا شارلى.

جادلت عينا شالى الزرقاوان عينى أمها، وهى تقول:

ـ إننى ألوم نفسى لعدم مصاحبتى له فى هذه المرة. ويتعين على المضى إليه. ولن يكون بمقدورك أن ترد عينى عما شئت.

تحاسرت المرأة العجوز وهي تقول لابنتها :

ـ أظن لو أن السيد «آلان» قد ذهب معك ...؟

أومأت شارلى برأسها، سعيدة بأنها كسبت المعركة ضد أمها، صاحت :

ـ إننى لم أحلم بالذهاب بمفردى.

كانت الفتاة شارلى الإبنة الوحيدة للسيد «بليك» ... ولقد كان يتوق السيد «سبنسر بليك» إلى أن يرزق بابن، غير أن احباطه تفاقم وازداد حدة، عندما أخبر الأطباء «ايزابيل» فى أعقاب ولادة شارلى المتعثرة، بأنها لن ترزق مرة ثانية بأية أطفال.

فراح يبتاع لابنته المسدسات والسيارات بدلاً من العرائس اللعب وعربات الأطفال. ولعب معها كرة القدم وأخذها معه لتسلق الجبال، والأعمال الشاقة الخشنة. وقصرت شعرها الأسود، وارتدت الجينز والشورت ولم ترتد أبداً التنورة، (الجيبة) .. وعندما بلغت الثالثة عشرة من عمرها أصبحت فتاة صخابة تحب وتعشق أن تلعب ألعاب الصبيان فى شغف. ولما بلغت السادسة عشرة ورثت عن أبيها اهتمامه البالغ بعلم الآثار، وعلى وجه الخصوص، المدن المفقودة فى بلاد الـ «إنكاس».

لقد فتنها حبها لهذا العلم، وألقيت نفسها تقرأ كل كتاب يقع تحت أيديها عن ذلك الموضوع. ولم يكن أبوها بحاجة إلى مزيد إقناع بأن يأخذها معه فى استكشافاته المتكررة فى بوليفيا، وبيرو، والبرازيل، وكولومبيا، وسائر بلاد امبراطورية «الإنكاس» المعروفة فاطبة. لقد عشقت كل دقيقة أمضتها هناك. عشقت الأدغال والآكام، التى لم تكن حافلة بالحيوانات المتوحشة، ولكنها كانت وديعة وجميلة. أحبت الإثارة، والابتهاج المصاحب لأى اكتشاف جديد يقومان به.

وفى تلك الرحلة الأخيرة اختلفت مع أبيها. وعادة كانت هى التى تقرر البدء والشروع فى الرحيل. ولكن عندما جاءهم «روبيرت بيلينغز» بقصة عن إحدى مدن بلاد «الإنكاس» غير المكتشفة حتى الآن فى

بيرو، ساورتها الشكوك والظنون. وبخاصة لما علمت بأن عالم الآثار الذى يفترض أنه اكتشفها، لم يرجع ولم يعد. وهذه الحكاية سردها عليهم أحد الهنود الذين زعموا بأنهم صاحبوه معظم الطريق. والشطر الأعظم من الرحلة. أما فى دخيلة شارلى، فقد كانت تظن بأن الهندى كان يستهدف الحصول على المال عن طريق بيع قصته.

ـ ابتاه، لقد كنت دائماً تقول لى بأن المدينة المفقودة فى بلاد «الإنكاس» تقع فى دولة بوليفيا، وليس فى دولة بيرو.

ـ ولكننى لا يمكن أن أخطأ، أو ربما جانبنى الصواب.

ـ وأنت سوف تشرع فى البحث عن أشياء ليس لها أصل سوى السماع والشائعات فى تلك البلدان؟ إن «روبيرت بيلينغز» ما هو إلا رجل خيالى رومانسى، ويجب أن تعرف تلك الحقيقة.

أخبر أبوها على موقفه، وقال :

ـ غير أنه ربما كانت ثمة حقيقة وراء تلك الأقوال. إنها تقع فى حقبة زمنية وعهد تاريخى لم يسبق لنا أن استكشفناها.

قالت شارلى مقاطعة حديث أبيها :

ـ وهى حقبة تاريخية سيقع على عاتقك أنت أن تضطلع بأعباء استكشافاتها.

ولم تكن تحب روبيرت بيلينغز، واقتنعت بأنه يلفق ويخترع الحكايات لأبيها لمجرد الاستمتاع الدنىء بذلك. اتسعت عينا أبيها، وهو يصرح :

ـ تعنين بأنك لن تأتى معى؟

هزت شارلى رأسها رفضاً، وصاحت :

ـ لا. إنها محاولة عقيمة، ومشروع أحمق لا طائل من ورائه. وإنى لعلى يقين من ذلك. ولا تسلنى لماذا، إنه مجرد احساس داخلى لى كأننى. أرجوك لا ترتحل.

بيد أن أباها كان عنيداً شكساً، ولم يفلح معه الجدال والنقاش. والآن لقد اختفى مثل عالم الآثار الآخر، وتمنت شارلى من كل قلبها لو أنها

www.elromancia.com

كانت أكثر إصراراً على عدم ذهاب أبيها. أو على الأقل أن تذهب معه.

حيرها الأمر وأقض مضجعها. هل اكتشف فعلاً المدينة المفقودة فى بلاد «الإنكاس»؟ أو بلاد «الدورادو» كما يطلق عليها البرازيليون، أو بلاد «الـ بابتينى» كما يسميها أهل النصف الغربى من أمريكا الجنوبية. أن بعض القوم يطلق عليها اسم «مدينة الذهب».

هل اكتشف المكان البهيج وافتقد كل فكرة عن طول الغياب، حيما مضى فى استكشافه بها وتصويرها بالأفلام وتسجيلها؟ أم أن شيئاً ما مروعاً قد وقع له؟ هل تقابل مع مجموعة من الهنود المعادين وواجههم فقتلوه؟ هل أصبح مريضاً للغاية حتى أنه لا يستطيع العودة إلى وطنه وبيته؟ واستعادت شارلى ذكرى الشهور التى أنفقها ذات مرة فى مستشفى الطب الإستوائى فى لندن..

ــ «آلان» مريض ولن يأتى.

قال ذلك شارلى لأمها بوضوح وهى تضع سماعة التليفون. شحب وجه «إيزابيل بليك»، وقالت:

ــ حذار أن تفكرى فى المضى إلى هناك بمفردك!

هزت كتفها وهى تقول:

ــ أنا لا أعرف أى شخص آخر يمكننى الوثوق فيه.

كان «آلان روسو» قد صاحبها فى بعثات استكشافية عديدة، لقد كان خبيراً محنكاً مثل أبيها، وكان يعرف الطريقة التى يعمل بها عقل أبيها وكيف يفكر. ويمثل الإختيار الموفق كشريك.

قالت أمها:

ــ يبقى هناك رجل آخر. إذا صممت على الرحيل.

ــ بطبيعة الحال أنا مصممة. وإنى لاستحلفك أن تفكرى فيما يمكن أن يحدث لأبى.

رددت ايزابيل بليك قائلة:

ــ إننى مشتقة الذهن. وأنت تعرفين كم أنا حيرى، غير أننى

لا أريدك أن تخاطرى بحياتك أيضاً.

قالت شارلى تدفع عن نفسها تلك المظنة:

ــ سأكون على ما يرام. فمن هو ذلك الرجل الذى فى ذهنك.

ــ برادين كويست.

اتسعت عينا شارلى الزرقاوان بالدهشة، وصرحت:

ــ برادين كويست. ليست بمقدورنا أن نطلب منه ذلك.

ــ لا أرى سبباً للرفض، إذا ما دفعنا إليه ببعض المال نظير خدماته.

هزت شارلى رأسها؛ صائحة:

ــ لا. لن يأتى.

كان برادين كويست أسطورة فى حياته الخاصة، فهو أحد علماء الأنثروبولوجيا «علم الإنسان» المبرزين فى العالم، ذو اهتمام خاص بثقافة أهل «الإنكاس». جسور جرىء، ماهو على نحو متألق، ذو عقل متفتح حدته كحدة الموسى. وكان قد ألف وصنف كتباً عن الموضوع، وصور أفلاماً، وأعطى محاضرات عديدة، وكانت شارلى تعرف كل شىء عنه، على الرغم من أنها لم تلتق به أبداً فى الواقع.

قابله أبوها ذات مرة، فأعجب به ومضى يثنى عليه أسابيع طويلة وعلى مواهبه وشجاعته. وإذا كان أبوها من الحماقة حتى يعرض نفسه للقتل، أو الضياع، أو الأسر، فإنه هو نفسه الملوم، إذا كان يتعين عليه ألا يذهب فى المقام الأول. إن ذلك هو عين ما سيقوله برادين كويست، وكانت موقنة بهذا. إذ ليس لديه وقت ينفقه على أناس لا يعرفون كيف العناية بأنفسهم.

قالت ايزابيل بليك فى وجوم:

ــ إذن لن نعرف ما إذا كان أبوك حياً أم ميتاً.

عبست شارلى وهى تقول:

ــ لقد حسبت أنك لم تريدى لى الذهاب.

ــ كلا، ولكن إذا كنت فى صحبة برادين كويست، فلن يساورنى

www.elromancia.com

القلق. ووثبت الدموع إلى عينى المرأة العجوز، وأردفت:

ـ إننى لا أستطيع النوم فى الليل، يا شارلى، إنا أرقد أرقة أتخيل كافة صنوف الأهوال. ولن أرتاح حتى أكتشف ما حدث.

قالت شارلى وهى توافق أمها على ما قالت:

ـ وكذا أنا. وإذا علمت أين يعيش، فسوف أكتب إليه من فورى.

وبعد ذلك بثلاثة أيام وطئت قدماً برادين كوبست أعتاب منزلها. فتحت شارلى الباب بعد طرقه عليه، وتحققت منه على الفور. لقد كان أطول مما تخيلت. حوالى ستة أقدام. عريض المنكبين وقوى البنية. ذا بشرة بنية، وعينين رماديتين لا يفوتها شىء، وأنف بدا كما لو كان قد سبق له التهشيم. أما ثغره فقد كان ملبناً وواسعاً، وكان على أسفل أحد وجنتيه ندبة مغلولة من أثر جرح أو طعنة. وأما شعره الجميل فقد كان مقصوراً، وكان يرتدى بنطلوناً أسود مصنوعاً من القماش المزابر، وقميصاً حريرياً أسود مشدوداً حول صدره الملبىء بالعضلات.

كانت قوته ملموسة، حيث نبرة تسلطة اتسمت بالارتفاع. وكان رداء النجاح والمنزلة الرفيعة يكسبه كما لو كان معطفاً على كتفيه. قال:

ـ اسمى برادين كوايست. وأريد التحدث مع السيد تشارلز بليك.

كان صوته عميقاً وذا تأثير مكثف، فلم تستطع شارلى مقاومة تأثرها به. لقد كان صوتاً خشناً رجولياً وأجش. ابتسمت بدفء، وصاحت:

ـ أنا السيد تشالز بليك. تفضل بالدخول. لم أتوقع أبداً أن ا.. قاطع حديثها على نحو بات، قائلاً:

ـ أنت ـ السيد تشالز بليك؟

وكانت عيناه تنطقان بالإنكار والرفض. فأكدت له ذلك وهى تقول:

ـ هذا صحيح. وإنى لأعتذر عن اسمى، لقد كان أبى يريد ابناً ذكراً.

تمتم بكلام بين أنفاسه لم تستطع شارلى أن تفهمه تماماً، وقالت بعدئذ بصوت مسموع:

ـ على أية حال إننى أضيع وأبدد وقتى. طاب صباحك يا آنسة بليك. واستدار بلطف على أعقابه، وتراجع لأسفل نحو الممر.

راحت شارلى تحدق وهى واقفة مرة ثانية. إنه ينصرف. لأنها لم تكن رجلاً، انطلق! إنه ليس بصدد إسداء المعاونة لها..

ففقزت تقول:

ـ ألا فانتظر يا سيد كوبست، أرجوك انتظر. استطيع أن أؤكد لك بأننى على نفس القدر من الإتقان كما الرجال، إننى.....

تضاءلت حينما التفت وأحاط بها بعينيه. وكانت رأسه عالية بزاوية، ولسبب من الإضاءة الباهرة، لمعت عيناه كما الفضة. فأضحت هى واهية لا حول لها، وغير قادرة على التكلم.

ـ أنت تعتقدين بأنك تتصفين بصفات الرجال، أليس كذلك؟

وراح ينظر إليها بتغطرس من أسفل إلى أعلى، وهو يلاحظ طول أحد سافيها ـ لقد كانت تلعب التنس من قبل، ولا تزال ترتدى البنطلون الشورت ـ كما يلاحظ حركة نهديها الصغيرين المفعمين بالحيوية والنشاط داخل البلوزة الرقيقة. وكانت قد انتهت لتوها من تصفيف شعرها الداكن، الذى تركته ينمو ويكبر فى السنوات الأخيرة. وهو الآن يسقط إلى ما وراء وتحت أكتافها، كثيفاً ثقيلاً، يزيد محياها جاذبية، على الرغم من أنها لم تكن مدركة لهذا. لم تكن شارلى طويلة جداً، وكانت تبدو هشة، غير أنها من داخلياتها، تمتعت بقوة وخشونة كمعظم الرجال.

مضى يقول:

ـ خبرينى يا آنسة بليك. ما هى الصفات الرجولية التى تمتلكينها وتعرفينها فى نفسك، فيما عدا اسمك؟

قالت شارلى وهى تتغاضى عن نبرة الإحتقار الكامنة فى كلامه، وتهز برأسها فى عجرفة وكبرياء.

لقد صاحبت أبى فى العديد من بعثاته الاستكشافية، وأعتقد أننى من حقى القول بأن قدرتى على الإحتمال تضاهى قدرته.

www.elromancia.com

ـ هل تستطعين مجاهدة المشاق، وأن تشقى طريقك عبر الغابات العذراء، والجبال، وأن تعبرى الأنهار المتحدرة الخطيرة.

قالت:

ـ أجل.

ـ وهل تستطيعين إعداد وطهو طعامك؟

ـ أجل.

ماذا وكيف تفعلين إذا عضك ولدغك أحد الثعابين؟

نظرت شارلى إليه فى استخفاف وصاحت:

ـ من النادر أن يلدغك ثعبان فى ادغال جنوب أمريكا فهى عادة تبتعد عنك. وفى حالة ارتكابك شيئاً غبياً، تهاجمك الثعابين فحسب، وحين العض، لا تحقن السم بصفة عامة. ولكن على أية حال فسوف استخدم المرقاة الضاغط لوقف الدموى، الذى بين ما أحمله من أشياء أخرى كمصل واق من عضات الأفاعى فى حقيبتى الطبية.

وفكرت فى التأثير عليه بسرد معلوماتها ومعارفها، غير أنه بدا لا يزال غير مصدق، كما لو كان يرتاب فى امتلاكها للقوة البدنية والخبرة فى مواجهة والتعامل مع الغابة فى بيرو.

فى تلك اللحظة ظهرت أمها وراءها. وصاحت:

ـ من هو ذلك الرجل يا شارلى؟

ثم برقت عيناها لما وقعا على ضيفها الزائر، وقالت:

ـ أوه. برادين كويست. لم يكن لدى فكرة عن وصولك. هيا ادخل. لكم كان طيباً منك أن زرتنا. لقد أمرضنى القلق على زوجى.

ورنت شارلى الهيئة والشكل الواهى الهش من أمها، والآن وقع برادين كويست تحت عينى ابزابيل بليك الواسعتين الزرقاوين المتوسلتين. إنها فى الأربعينات من عمرها، كانت لا تزال إمرأة جميلة تدير رؤوس الرجال، على الرغم من أنها لم تكن تشتهى من الرجال سوى زوجها.

كان ثمة جو من القنوط واليأس يخيم عليها، وفى تلك اللحظة تحول

إلى وجوم وحزن، وراح يتبعها برادين كويست إلى داخل الدار. وقال فوق جلوسها:

ـ لقد كنت اعتقد أن شارلز بليك هو ابنك.

أحست شارلى بأن ذلك بمثابة اتهام لها، وبدأت ترتفع درجة توترها وغضبها.

إعترفت إيزابيل بابتسامة حزينة، يشوبها الانزعاج، قالت:

خطأ يقع فى أحسن العائلات، ويرتكبه أقوام كثيرون. غير أن ذلك لن يغير من الأمر شيئاً، أليس كذلك؟ هل سوف تساعدنا؟ إن ذلك سبب مجيئك إلى هنا.

ـ لقد جئت من أجل التحدث بشأن الموضوع معكما. ولأكتشف ما الذى حدث تماماً. صرحت شارلى فى اقتضاب.

ـ لقد أخبرتك فى رسالتى.

ولم تكن موقنة بأنها تحب برادين كويست بعد كل شىء. لقد كان يبدو حلماً للنساء، ولكن يتوقف عند ذلك الحد. واتجاهه يهبط به إلى العكس. إن الذهاب معه إلى بيرو لن يكون تجربة سارة.

لقد شرحتى بأن أباك قد أختفى على ما يبدو.

تساءلت فى حنق:

ـ «على ما يبدو»؟ لقد مرت شهور ثلاثة على رحيله. وكان سيرسل خطاباً إلينا بطريقة أو بأخرى إذا ما قدر له أن يطيل أمد الرحلة. لقد اختفى. حتى سلطات دولة بيرو لا تستطيع أن تقدم لنا العون.

قال برادين كويست بحدة:

ـ أم أنها لا تريد أن تقدم لكم العون.

بدا البؤس والشقاء على وجه ايزابيل، قالت:

ـ أرجوك. لا داعى للجدال بشأن ذلك. يا سيد كويست، إننى حقاً بائسة. إن شارلى تريد الذهاب للبحث عنه، ولكننى لن أسمح لها بالذهاب بمفردها. فهل ستذهب معها؟ أنا لا أعرف شخصاً آخر يوسعى

www.elromancia.com

سؤاله. فلتطلب ما تشاء من المال. ليس ثمة شيء بالكثير من أجل تأمين العودة الآمنة لزوجي.

قال برادين كويست بوحشية.

ـ ربما قد مات.

أغلقت ايزابيل عينيها، وأحدقت شارلى فيه. أليس عند الرجل شفقة أو رحمة؟

قالت أمها بصراحة:

ـ إنى لأتحسب لذلك. ولكن على الأقل سوف أعرف. ليست لديك فكرة ماذا يمثل هو بالنسبة لى..

قاطعها بحدة قائلاً:

ـ هل تعرفين الطريق المضبوط الذى اخرقه وسار فيه؟

رأت حينذاك شارلى الراحة التى ارتسمت على وجه أمها.

أجابت ايزابيل بسرعة:

يستطيع أن يخبرك روبيرت بيلينغز.

أقطب برادين وجهه وقال:

ـ ومن يكون هو؟

ـ هو الرجل الذى شجع زوجى على القيام بالرحلة هذه.

ـ فما مقدار علمه ومعارفه عن بلاد «الإنكاس»؟

قالت شارلى وهى تبصق:

ـ لا شيء. إنه فحسب يعتقد ويظن فى أنه يعلم. وإنى لمقتنعة تماماً بأنه قد أرسل أبى ليلقى حتفه. إن ثمة شخصاً آخر سبقه إلى هناك، ولم يرجع كذلك.

أخذ برادين نفساً عميقاً، وضاقت عيناه وهو ينظر إلى المرأتين؛ قال:

أعطيانى عنوان روبيرت بيلينغز.

وبينما كانت أمها تبحث، جلست شارلى فى صمت مريح. فليست هى بالتى يعيبها الإنفراد مع رجل لوحدهما، كما أن هذا لم يكن رجلاً عادياً.

فى تلك اللحظة كان قد استغرقه التفكير، وكان بمقدورها أن تلاحظه وهو لا يدرى. راحت تتساءل وتعجب كيف أصابته تلك الندبة على خدّه. هل قد أنشب مخلبه فيحا أحد الحيوانات الوحشية، أم كانت من جراء طعنة بالمطواه أو المدية؟ هل واجهه قبيلة من قبائل الهنود المعادين؟ وتلك الأنف المجدوعة ـ هل هُشِّمَتْ فى نفس الوقت؟ هل لديه ندوب وجروح أخرى على جسمه؟ راحت عيناها تجوب وتسافر عبر عضلاته المنتفخة الفاتنة فى قوة وبروز، كان يبدو رجلاً هائلاً:

وعندما أعادت تحديقها إلى وجهه، كان برادين يراقبها. فأحست شارلى بالدم يجرى ويتدفق فى وجنتيها. قال:

ـ حسناً؟

ـ حسناً ماذا؟

تساءلت لقد ضبطها متلبسة بالتحديق فى تقاطيع بدنه. وتخيلت أن هذا الرجل كانت له دائماً ميزة خفيفة على القوم الآخرين، وكان هذا أمراً لا تحبه هى. لقد كانت دائماً تعتبر نفسها نداً ونظيراً لأى رجل. إذ ليس ثمة الكثير مما لا تجيد وتحسن صنعه. إنها تحسن الكثير من الأنشطة.

لقد اندرجت تحت أسلوب قاسى من التربية، وكانت تجربة فريدة أن تجد نفسها وجهاً لوجه مع رجل جعلها تشعر بأنها أدنى وأقل شأناً منه

ـ ما هو رأيك فى؟

قال ذلك وهو يلقى بظهره إلى الوراء جالساً على مقعده، بينما ساقاه الطويلان ممددتان أمامه، وكانت عيناه نصف مغلقتين، وأصابع يديه الإبهام متشبثتان فى جيبى بنطلونه. قالت:

ـ أنا أعرف كل شيء عنك سلفاً.

ـ ليس ذلك هو ما تساءلت بشأنه.

نظرت إليه باضطراد وصاحت:

ـ فى واقع الأمور، أنت لست فى شيء شبيهاً لما تخيلتك. ارتفعت حواجبه الكثيفة وهو يهتف:

www.elromancia.com

كلا؟ لست شبيهاً؟

لقد رأيتك وشاهدتك على شاشة التليفزيون. غير أن تعبيراتك الساخرة لم ينقلها قط التليفزيون. ألا تحب النساء يا سيد كوبست؟

أدهشه سؤالها، فاعتدل جالساً وانحنى نحوها، وبعينيه الفضيتين الرماديتين بريق لامع، وصاح:

أوه، أجل، إننى أحب النساء، أى رجل لا يحبهن؟ ولكنك تبدين كما لو كنتى لن تحتملى فضاء أكثر من دقيقتين وسط الآكام.

اكتسحت نظرته جسدها مرة ثانية، دون أن تفقد بوصة واحدة من هيكل بدنها، وتمنت شارلى لو كان لديها الوقت لكى تغير ملابسها. لقد شعرت بأنها عارية مجردة من الملابس.

ــ إن المظاهر ربما تغش وتخدع الأبصار.

قالت ذلك، وكان ثمة معركة يدور رحاها فى عينيها الزرقاوين الفاتنتين. صرح فى هدوء:

أعتقد أنه ستكون الأمر أفضل إذا ما مضيت أبحث عن أبيك بمفردى.

اهتزت رأس شارلى وقالت:

ــ ليس من وجودى من بد.

قال بنبرة حازمة الآن:

ليس لدى النية فى أن يتم احتجازى.

لن يتم احتجازك.

خرجت منها تلك الكلمات الشجاعة، فى الوقت الذى كان هو أكثر قوة فيزيائياً وجسدياً عنها. إن ساقيه الطويلتين سوف يطويان الأرض بضعف سرعة مشيها، وخطوها، وهاتان الذراعان الحربيان سوف تستخدمان ببراعة منجل قطع الشجيرات لإزالة الفروع والشجيرات النامية أسفل الشجر الكبير، مثل السكين فى قطع الزبد. إن شارلى تنكر فحسب أنها اكتشفت أن الأمر سيكون عسيراً فى اختراقها طريقها عبر الأدغال العذراء. إن ذلك الرجل سيكون ضجراً من جراء بطئها، فى

حين كان أبوها يعاونها ويساعدها ويشجعها.

هزأ بها وسخر منها، والتوى فمه معبراً عن الاحتقار وهو يقول:

ــ تبدين واثقة جداً من نفسك.

ــ أنا لست مبتدئة. لقد كنت أذهب مع أبى للغابات منذ كان عمرى السادسة عشرة.

ــ وأنت لست أكبر سناً عن ذلك الآن.

أشاحت برأسها وهى تقول:

ــ إن عمرى الآن الرابعة والعشرين.

نظر إليها لمدة ثوان طويلة عديدة بدون التكلم، وبدأت شارلى يزيد غضبها. كان من الواضح أنه يزنها ويقدرها، ويستشف مقدار احتياجها إلى الحب. تمنت لو أنها لم تطلب مساعدته أبداً..

ــ لماذا لم تذهبى مع أبيك فى هذه المناسبة؟

كشرت شارلى كمداً وتألماً، وصرحت:

ــ لأننى لم أصدق روبيرت بيلينغز. لقد كان غالباً يأتينا بقصة أو حكاية ملفقة من حين لآخر.

هزت شارلى رأسها، وأردفت:

ــ هل هو نفسه مستكشف أثرى؟ إذن من أين يستقى قصصه؟

ثم هزت كتفها وهى تقول:

ــ من أصدقاء أصدقائه. ومن يعلم؟

إن أباك كان يصدقه، وهذا أمر واضح.

لقد كان طموح حياته كلها أن يكتشف المدينة المفقودة فى بلاد الانكاس التوت شفتا برادين وصرح:

ــ فى رأيى، ليست ثمة مكان بهذا الاسم.

شمخت شارلى بأنفها عزوراً، ولمعت عيناها بالبريق، وتساءلت:

ــ أو تظن أن أبى أحمق؟

لم أقل شيئاً من هذا القبيل. إنه ليس الشخص الوحيد الذى ساورته

www.elromancia.com

وخامرته تلك المطامح فى اكتشاف المدينة المفقودة.

عادت ايزابيل إلى الغرفة وهى تقول:

ــ ها هو ذا العنوان. آسفة على التأخير.

وشعرت شالى بالإمتنان أن عادت أمها لتتدخل بينها.

أخذ برادين قطعة الورق ووضعها فى جيبه. تساءلت المرأة الكبيرة وهى تنظر إلى وجه ابنتها المتوهج والنظرة الثاقبة التى يرشقها بها ضيفها:

ــ هل أستطيع أن أقدم لك فنجاناً من الشاى؟

قال:

ــ أشكرك، إن فعلت كان ظرفاً منك.

أنّت شارلى من داخلها تألماً. لقد كانت تأمل أن يغرب وجهها. ووثبت واقفة وهى تقول:

ــ سوف أصنع الشاى. أما أنت يا أماه فأجلسى، وتحادثى مع السيد كويست. وإنى لعلى ثقة فى أن لديك الكثير من الأسئلة التى تريدين أن تسأليه عنها.

ولكن ايزابيل هزت رأسها وقالت:

أعتقد أنكما أنتما الاثنان الذين يجب عليكما أن تتجاذبا أطراف الحديث. حيث يكون لديكما خطط لتدبيرها، ومتى علم السيد كويست ملابسات الموضوع، كان حرياً به أن يخبرنا كم من المال يتقاضى منا.

قال برادين كويست فى التو:

ليس ثمة مال سوف أتقاضاه. لقد اختفى رجلان، وإن هذا لأمر كاف فى أن يثير اهتمامى. والتحفظ الوحيد الذى لدى، يا مدام بليك، هو بشأن ابنتك وأخذها معى. إذ أفضل الإنطلاق بمفردى، أو على الأقل أن أختار بنفسى شريكى.

قالت ايزابيل:

ــ يوسعى أن أفهم ذلك. ما رأيك يا شارلى فيما يقول..

ــ لن يكون ثمة شىء يقادر على صدى عن الذهاب.

وبصقت على الأرض من فورها، وقد أثار سخطها الشديد الطريقة التى كان يحاول بها أن يستقطب أمها إلى جانبه، وأردفت قائلة:

ــ لست بحاجة إلى السيد كويست. وإنى لقادرة تماماً على أن....

وضعت ايزابيل يدها على ذراع ابنتها وهى تقول:

ــ شارلى، لا تبتأسى. إن للسيد كويست رأياً صائباً تماماً. إذ سيكون قادراً على الترحال والسفر بسرعة أكبر بدونك.

ردت شارلى بنزق قائلة:

ــ وما الذى تعرفينه بشأن ذلك؟ هل كان أبى قد اشتكى من أننى عقبة أمامه؟ وكانت هذه هى المرة الأولى التى تتكلم فيها بمثل تلك الوقاحة مع أمها، ولذا فقد ألقت باللوم على برادين كويست.

اعترفت أمها قائلة:

ــ حسناً، لم يشتك. لقد كان دوماً يقول بأنك تحسنين التصرف تماماً ولكن..

قاطعتها شارلى بحدة، وهى تقول:

ها قد بان الحق وظهر. وإذا لم يسمح لى السيد كويست بالذهاب معه، فليس بحاجة إلى أن يكلف نفسه مشاق الترحال على الإطلاق. وإنى لسوف أجد شخصاً آخر لن يكون بمثابة معترض على أن تشاركه الرحلة إحدى الإناث.

وثبت برادين كويست ناهضاً على قدميه وهمَّ بالتوجه إلى ناحية الباب، قال:

ــ لا أعتقد أننى يعوزنى ذلك الشاى يا مدام بليك. من الواضح أن كلانا يضيع وقت الآخر. إلى اللقاء. أتمنى لكما التوفيق.

حدقت شارلى بالنظر من برادين إلى أمها، وانفتح فم ايزابيل وهى تقول:

ــ يا سيد كويست. لا تنصرف. أقصد، أننى آسفة، غير أن هذا يعنى الكثير بالنسبة إلى شارلى. ولست أعرف شخصاً آخر أستطيع أن

www.elromancia.com

آمنه على ابنتى واثق فيه. لقد كان مقرراً أن يذهب معها آلان روس. ولكن لسوء الحظ لقد مرض ودخل المستشفى للعلاج من التهاب الزائدة الدودية. و...

أقطب جبينه وقال:

ـ آلان روس. إنى لأعرفه. أو قد كان من المقرر أن يذهب مع ابنتك؟

أومأت ايزابيل برأسها. وقالت:

ـ لقد صاحبها: شارلى وأباها فى مناسبات متعددة. وهو يعتقد فى أنها رائعة. وكان دائماً وأبداً يتغنى بصفاتها الحميدة ويثنى عليها. ويقول إنه لم يحدث له أن قابل فتاة أبداً مثلها.

أخذ برادين كويست نظرة طويلة أخرى وبطيئة عن شارلى. فشعرت بصعود رغبة غير متوقعة فيها. بصرف النظر عن كل شىء آخر. كان هو رجلاً شهوانياً على نحو مزعج. على الرغم من أنه لم يستخدم تلك الخصال. وفى الواقع. لم يبد هو حتى مدركاً لذلك. ولكن لم تظهر شيئاً من مشاعرها عبر عينيها. فنظرت إليه ببرود وتألمت من تقييمه إياها فى صمت. قال:

ـ ربما كنت أتجسس قدرك وشأنك. ياآنسة بليك. يجمل بى أن أتناول ذلك الفنجان من الشاى حتى أعرف عنك المزيد قبل أن أصدر قرارى النهائى.

ابتسمت ايزابيل ابتسامة راحة. وقالت:

ـ سوف أضع غلاية الشاى على النار.

وقبل أن تهم شارلى بالتحرك، كانت هى قد غادرت الغرفة.

ساخ برادين فى مقعده. ولوح بيده فى الهواء الشارلى كى تفعل مثله ـ كما لو كان هو صاحب الدار. فورد ذلك على خاطرها مما أثار نقمتها وسخطها. ولما جلست. قال:

ـ خبرينى عن بعض الرحلات التى قمتى بها مع أبيك.

شرعت شارلى فى التردد فى البداية. ثم بعد أن جمعت الألفة بينها وبين موضوع حديثها. أضحت أكثر حماساً. وهى ترد وتقص الأحداث والاكتشافات فى سرعة. وطريقة مسلية. جذبت ابتسامة طارئة على شفتيه. قال:

ـ أعتقد أن ابنتك وهبتها بسخاء كفاءاتها ـ إذا كان ما تقوله لى صحيحاً. وكانت عند ذلك قد عادت إيزابيل تحمل صينية الشاى. قالت شارلى فى سرعة وغضب.

ـ بالطبع. ذلك حقيقى.

وقالت فى نفسها. فلنذهب إلى الجحيم. أو تظن أننى أخترع وأختلق الأحاديث؟ فمضى يتكلم كما لو كان لم تقاطعه هى. وصرح:

ـ ولقد قررت أن آخذها معى. على الرغم من أننى لا أزل أتحفظ على بعض الأشياء.

تنفست إيزابيل بليك الصعداء وهى تستشعر الإمتنان. قائلة:

ـ أوه. أشكرك. ياسيد كويست. إنى لعلى ثقة فى أنك لن تندم على ذلك.

كانت ثمة ثقة عمياء مرتسمة على وجهها أصابت شارلى بالغثيان، إذ أنها لم تشعر بذلك الإمتنان بكل تأكيد. لقد كان من الواضح أنه لا يزال يؤمن بأنها سوف تشكل عبئاً عليه، وأما هى فقد تمنت لو استطاعت أن تقذف فى وجهه برأيها السيىء فيه. ولكن يتعين عليها أن تضع نصب عينيها مصلحة أبيها فى المقام الأول. إذ بدون برادين كويست لن تحظى بالمزيد من الفرص فى إيجاده والعثور عليه، حتى بالرغم من أنها ليس لديها أى تردد فى الرحيل بمفردها، إذا ما استمرأ الرخص.

قال لأمها:

ـ كل الناس يخاطبوننى باسم «برادين».

ابتسمت وهى تقول:

ـ حسناً يا برادين، واسمى هو إيزابيل. وإنى لأقدر تكريمك لوقتك من

www.elromancia.com

أجل البحث عن سبنسر. ولسوف أكون مدينة لك إلى الأبد.

ـ لا تزعجي نفسك بشأن هذا الموضوع يا إيزابيل. وإذا كان زوجك لا يزال حياً، فسوف أعثر عليه. وفي الواقع، أنتما محظوظتان في أن تكلفاني بذلك.

لقد أنفقت الشطر الأعظم من حياتي في بيرو. وأنا أقوم بتأليف كتاب يقتضي البحث في تلال تلك البلاد، ولذا فالأمر يبدو معقولاً لأن أعيش هناك.

لم يعد عقل شارلي يركز وينصت، إذ أنه شرد في عمليات البحث التي سوف تقع في الفترة المقبلة، وفي الساعات، والأيام والأسابيع التي سوف تمضيها في صحبة ذلك الرجل بمفرده. فهل هي سوف تحتمل ذلك؟ هل سوف يعاملها كما لو كانت نداً له؟ أم تراه سوف يعاملها بأنفة وكبرياء طوال الوقت؟ لسوف يقع على عاتقها أن تظهر له كم هي حقاً خشنة ومرنة وسهلة وفقاً للطوارىء.

وأخيراً وقف وصافح يد مدام بليك قائلاً:

ـ سوف أكون مستعداً للمغادرة في ظرف يومين أو ثلاثة أيام.

وقال لشارلي:

ـ أعتقد أننا يجب أن نتعرف على بعضنا البعض. إني أكره الذهاب مع الغرباء في الرحلات الاستكشافية. سوف أحجز منضدة للعشاء غداً مساء، وسوف أمر بسيارتي لآخذك في الساعة الثامنة.

اتسعت عينا شارلي. أهذا الحد وصلت جرأته. إنه لا يسأل، بل يأمر!

قالت ببرود:

ـ آسفة. إن لدي موعد سالف.

عبست أمها، وهي تعلم تماماً ويقيناً بأن ابنتها تكذب.

قال حازماً:

ـ إذن الغيه:

فتحت شارلي فمها لتحتج، غير أنها أغلقته مرة ثانية، حينما وقعت عيناها على عيني أمها. وأومأت برأسها متظاهرة بعدم الفهم.

قال: حسناً.

ثم التفت من فوره ليغادر الغرفة، وصاحبته أمها حتى الباب الأمامي، فوجدت شارلي نفسها تحترق كمداً. وعندما عادت ايزابيل ابليك كانت أول كلماتها:

ألا تحبين برادين؟

قالت شارلي على الفور:

ـ كلا، إنه مغرور للغاية ويكاد ينفجر تأثراً من امتلائه بالعجرفة. إنه رجل ماهر للغاية.

اتسعت عينا شارلي، وهي تصرح:

حتى ولو كان كذلك، لا يتعين عليه أن يصيبني بالإحباط.

قالت أمها في كلام منطقي:

ـ هذا أمر مفهوم طالما أنه لا يعرفك.

ـ إنه لم يصدق كلامي في أنني مجربة وخبيرة، حتى ذكرت أنت له «آلان»:

أومأت ايزابيل برأسها قائلة:

حسناً ما فعلته أنا.

قالت شارلي:

ـ لست واثقة بهذا القدر. لا أعتقد بأننا سوف نستطيع التأثير عليه. لكم كنت أتمنى ألا نسأله. وأنا متأكدة من أننا كنا سنجد شخصاً آخر للذهاب معي.

ـ إنه الأفضل.

كشرت اشمئزازاً وصاحت:

ـ إنه ليس الأفضل عندما يتعلق الأمر بتدمير ثقة الفتاة في قدراتها. لقد كنت دائماً أظن أنني ممتازة، أما الآن أجدني أشك فيما إذا كنت

www.elromancia.com

سأحتمل المواصلة أم لا.

قالت أمها بقوة:

ـ هراء. إنه موقن بأنه سوف يلتمس لك عذراً.

هل كان سيفعل؟ إنه على العكس يزيد من تعقيد الأمور ويضع المشاق أمامها. غير أنها لم تقل هذا لأمها. وبدلاً من ذلك قالت:

ـ ليس أى شخص آخر غيره هو، بحاجة إلى أن يلتمس لى عذراً.

ردت ايزابيل تقول:

ـ إذن أنت منزعجة من لا شىء.

صاحت شارلى:

ـ سوف نرى. ولماذا سألنى الخروج معه؟

إن ذلك كان أمراً آخر غير مفهوم لها.

ـ لديه أسبابه الخاصة.

ـ أتحاولين اقناعى بأنه من الأفضل الذهاب بمفرده.

قالت أمها بهدوء:

ـ لا أعتقد فى ذلك يا حبيبتى. من الواضح تماماً أنه بحاجة إلى أن يعرفك.

ـ سيكون لدينا وفرة فى الوقت من أجل هذا فى بيرو.

ولكن مهما كان ما قالته شارلى، واضح أن أمها واقفة فى صف برادين كوبست، ومقتنعة بأنه إذا كان ثمة شخص قادر على العثور على سبنسوفهو. وفى المساء من اليوم التالى، كانت شارلى جاهزة تنتظر برادين حينما ركن سيارته خارج المنزل. ولقد أستغرقها مزيداً من الوقت أن تقرر ما الذى ترتديه، وفى النهاية قررت أن تلبس بلوزة أرجوانية اللون وبنطلون محكم ضيق يتلاءم ويتناغم مع التنورة النوقية.

كانت ملابسها متأنقة، وشعرت بالراحة فى ارتدائها البنطلون، كعادتها دائماً. أما المكياج فقد جعلته فى حدوده الدنيا، إذ استخدمت مسحة من ظلال العيون البنفسجى الزاهى، وطبقة من أحمر الشفاه الروج القرنفلى

الوردى. أما شعرها الحريرى الكثيف فقد أرسلته طلقاً متهدلاً وحراً.

فتحت الباب، فجعل هو ينظر إليها طويلاً نظرات ثاقبة، فى غير تعليق، فعرضت عليه التفضل بالدخول قائلة:

ـ هل تحب التفضل بالدخول؟

وقد صدمها مجدداً طغيان الرجولية عليه، بطوله وعرض جسده.

كان يرتدى البنطلون الأسود والقميص وجاكيتا عاجى اللون. وكانت رائحة المسك تعبق فى أرجائه عبقاً خفيفاً، وأما شعره الأشقر فقد كان مغسولاً لتوه بالشامبو، يبدو كما لو كان قد قصّر شعر رأسه مرة ثانية، حتى على الرغم من أنه كان أصلاً شعراً قصيراً. وكانت رأسه ذات شكل مجبب، وذات رموش كثيفة، أكثر سواداً عن سائر شعره.

قال:

ـ لا أعتقد فى ذلك. إن المنضدة محجوزة ولا أحب أن أصل متأخراً.

كانت أمها بعيدة هناك، ولذلك فقد أحست شارلى بالراحة، فأغلقت الباب وراءها واقتفت أثره نحو السيارة الخاصة به. وكانت سيارة ضخمة حمراء ضاربة زمجرت فى الكون فى لحظة إدارته لمفتاح التشغيل، وهو نوع السيارات التى توقعت له أن يمتلكها.

أخذها إلى أحد المطاعم الصغيرة فى مركز المدينة. ولم يكن قديماً فى عهده، إذ كان قد افتتح حديثاً، غير أنه اكتسب شهرة وسمعة طيبة سريعاً. وكانت أثاثاته ومفارشه تنتمى إلى العصر الفيكتورى، ومصممة وفقاً لذلك الطراز الفيكتورى، به مصطلى «مدفأة» ذات رأس ومقدمة سوداء اللون، وستائر وردية زاهية الجمال، ومفارش أنيقة للمناضد، وتناثرت باقات الزهور الجافة على المناضد فى تناسق وتنظيم، وكذا زهريات الورود على كوّات النوافذ.

ولم يسبق لشارلى أن وطأت اقدامها ذلك المكان من قبل، فجعلت تنظر فيما حولها فى شغف واهتمام، وصار لزاماً على برادين أن يسألها مرتين ما الذى تحبه من صنوف الشراب. فقالت:

www.elromancia.com

ـ آسفة.. فليكن الخمر المعتق من صنف «الجنّ» من فضلك.

وجلسا على المنضدة فى الحانة وراحا يرتشفان المشروب، ويدرسان قائمة الطعام.

فألفت نفسها تركز عليه هو بدلاً من قائمة الطعام، وعندما سألها عما إذا كانت جاهزة لكى تطلب ما تشتهى، أصدرت بادرة مفاجأة ضئيلة. فاتهمها يقول:

ـ أنت حتى لم تكونى تنظرين. لقد سرحت أميالاً بعيدة عنى. فيم كنت تفكرين؟

لم تكن شارلى لتخبره حتى ولو أمهرها مليوناً من الجنيهات. فكذبت قائلة:

ـ كنت أفكر فى أبى.

فصاح قائلاً:

ـ إن الحديث بشأن سبنسر ليس لغرض هذه الأمسية والسهرة. إن شرائح اسكالوب لحم العجل لذيذة أقترح أن تحاولى، وأن نأكل فى البداية الاسفاناخ سوفليه:

نادى على النادلة وأصدر أوامره، وتعجبت شارلى لماذا جلست هى مسترخاة وسمحت له بأن يتولى الموضوع. استمر الوضع على هذه الحال سائر وقائع السهرة. فقد كان يوجه الأسئلة ويبادر بها، ثم يجيب هو عليها. لقد كان متحدثاً لبقاً.

أخبرته بأنهم فى تلك الآونة يديرون محل الألعاب والأدوات الرياضية الخاص بهم. قائلة:

ـ إنه ملك أبى حقاً، ولكننا جميعاً نشاركه فى إدارته. وهذا يفسر سبب مقدرتنا على القيام بالبعثات الاستكشافية المتنوعة. وأمى لا يهمها أبداً أن نعهد إليها بادارته، ومنذ اختفاء أبى، مثل لها شيئاً كالسلوى يشغل ذهنها.

ـ غير أنها سوف تكون وحيدة على الاطلاق عندما ترحلين عنها. فهل

سوف تستطيع أن تقاوم ذلك؟

نظرت شارلى إليه بريبة، وصاحت:

ـ آمل ألا تكون مقترحاً للمرة الثانية ألا أذهب، لأن ذلك ليس وارداً. إن الفكرة هى إيجاد شخص ما يأتى معى. وأنت تبدو بأنك سوف تضطلع بالموضوع، يا سيد كوبست.

ـ سيد كوبست؟ لقد ناديتنى باسم برادين منذ دقائق قليلة مضت.

ـ أوقد فعلت؟

تساءلت بأسلوب لاذع، وأضافت:

ـ ربما كان ذلك زلة لسان.

ـ أحسب أنه قد حان الوقت للرحيل.

أنهت شارلى قهوتها سريعاً ودفعت كرسيها إلى الوراء. دفع برادين الفاتورة وأخذ ذراعها حينما انصرفا يهبطان الدرج المؤدى إلى مكان ركن السيارات. فأحست برغبة نافرة عنه تسرى فى بدنها، وكان بودها أن تنزع نفسها متحررة عنه، غير أنها تشأ أن تعطيه الانطباع بأنه يزعجها.

ثم فى سيارته انحنى عبر الكرسى وطبع عليها قبلة. فاستجابت شارلى بأن صفعته على وجهه. فكشر عن ابتسامة، وقال:

ـ إنى سعيد بأنك فعلت ذلك. فإذا كنت قد قبلتينى رداً على قبلتى لك، لما أخذتك معى، إن آخر ما ابتغيه معى فى هذه الرحلة إمرأة تكون مشاعرها إلى ما وراء الجنس.

فقالت ببرود:

ـ معك؟ أبداً! إن ذلك شىء بوسعك أن تضعه نصب عينيك فى وضوح تام.

قال:؛

ـ إذن سنكون رفيقين متفاهمين، لأن مشاعرنا متبادلة.

راحت شارلى تتساءل وتعجب لماذا شعرت بالإحباط.

www.elromancia.com

الفصل الثانى

الاستعداد للرحيل

فى اليوم التالى، وجدت شارلى من العسير أن تطرد برادين كويست من ذهنها، أنها لاتريد التفكير فيه، وبذلت قصارى جهدها من أجل ذلك، غير أن أفكارها كانت كثيراً ماتتمحور وتتمركز حول ذلك الرجل. لقد أصابتها قبلته لها بالصدمة العاطفية، وكان صفعها إياه عزيزياً، وحتى لحظتها تلك، لم تستطع تجاهل ميلها له إن فورة المشاعر المفاجئة التى انتابتها عندما لمسها جعلته مزيداً بين كل الرجال.

إنها لم تستشعر ذلك أبداً من قبل. ففى سن الرابعة والعشرين كان لديها الكثير من الأصدقاء، غير أنها لم يكن لديها عشاق. إذ لم يكن لديها مزيد من الوقت من أجل العلاقات العاطفية. وكان معظم الرجال الذين قابلتهم إما من نفس طراز أبيها. ممن يعشقون المخاطر والإثارة فى استكشاف مجاهل البلدان، حيث تمثل أقصى تفكير يمكن أن يصلوا إليه بعقولهم، أو ممن لايفهمونها ويحتفظون بينهم وبينها بمسافة من الاحترام المتبادل.

أما ذلك الرجل فقد كان مختلفاً. غير أن حقيقة ارتيابه فيها، واعتقاده بأنها غير ذات كفاءة فى مجابهة الرحلة الجهيدة، لاشك أمر كفيل بأن يثبط أية مشاعر عاطفية، كانت غبية بما فيه الكفاية حتى تنميها فى نفسها. ولسوف يستغرق الأمر جل طاقتها وعقلها وجهدها من أجل أن تبرهن له أنها أنثى غير ضعيفة، وأنها قادرة عندما تتعلق المسألة بشق طريقها عبر الأدغال فى بيرو.

وعندما اتصل هاتفياً بعد ذلك بيومين فيما بعد، لم تستطع أن تتعرف على صوته. إذ بدا أكثر عمقاً وأكثر إثارة. وكان من الواضح أنه لم يعان

من مثل تلك المتاعب التى راودت فكرها، حيث قال:

— الآنسة بليك؟

— أجل. فمن المتكلم؟

— إنه برادين كويست.

وشعرت من فورها بأنه كانت حماقة منها حين سألته ذلك السؤال، وكانت نبرة صوتها حادة حينما قالت:

— هل تريد أمى؟

— لماذا أريد أمك، طالما بوسعى التحدث معك أنت؟

علمت شارلى بأنها سمعت تلميحاً وغمزاً بين طيات صوته. ولكن مؤكد أن ذلك غير صحيح، إذ أن برادين كويست ليست له اهتمامات بها، على الإطلاق، لقد أوضح ذلك بما لايدع مجالاً للشك. فانتظرت كى تسمع لماذا دق جرس الهاتف.

— إن خططى اكتملت. وقد حجزت لى ولك على الرحلة الجوية التى ستنطلق من مطار هيثرو فى الصباح عند الساعة التاسعة والخمس وأربعين دقيقة. أتعشم أن تكون أوراقك مستوفاة. وبخاصة جواز السفر وشهادة الجدرى؟ هل تم تطعيمك وتحصينك ضد الحمى الصفراء وحمى التيفوئيد والكوليرا؟

وراح يرص الأسئلة تلو الأسئلة، كما لو كان موظفاً مسئولاً.

استفز شارلى طبعه الفظ، فقالت:

— إنه فات أوان اسئلتك هذه، أليس كذلك؟ بالطبع كل شىء على مايرام ومستوفى.

— إن مثل تلك الأشياء الصغيرة التى غالباً ماتنسى.

قالت فى حدة لاذعة:

— ليس لدى المزيد من الأمور التى تستحوذ على تفكيرى. وسواء أحببت ذلك أم لم أحبه، يبدو أننى وضعت نفسى بين يديك.

كانت ثمة وقفة خفيفة، وكان بمقدور شارلى أن تتخيل الأسلوب

الذى يعمل بمقتضاه عقله. فسألته وقد نفد صبرها:

ـ هل هذا هو كل ما فى الأمر؟

ـ سوف ألتقطك فى الساعة السادسة والنصف. تأكدى من أنك جاهزة.

ـ سأكون مستعدة.

ـ ولا تحضرى معك يا شارلى أمتعة كثيرة.

أرادت أن تخبره بأنها تعرف كل حيثيات السفر والترحال الخفيف بدون أحمال فى الآكام، والغابات، غير أنها أمسكت عليها لسانها. وقالت:

ـ لن أحضر ذلك يا سيد كويست.

وشعرت بتنفسه الصعداء، وابتسمت فيما بينها وبين نفسها حينما وضع سماعة التليفون. تساءلت أمها:

ـ أكان ذلك برادين؟.... فأومأت برأسها أن نعم، وصاحت:

ـ سوف نغادر فى الغد صباحاً.

تنفست ايزابيل الصعداء وهى تقول:

ـ أشكرك يا الهى! لم أتصور أننى أستطيع احتمال الصبر بعد الآن. ولقد مكثت آمل أن نسمع عن أبيك شيئاً حتى يجعل من غير الضرورى لك الذهاب، ولكن..

ـ أعترفت شارلى قائلة:

ـ وأنا كذلك يا أماه. غير أننى واثقة من أننا سوف نعثر عليه. ربما عثر على المدينة المفقودة، بعد كل شىء، وإنه ربما أخذته الإثارة حتى فقد كل احساس بمرور الزمن. وأنت تعلمين طباعه وخصاله. ألن يدهشه أن يجدنى هناك؟

علمت ايزابيل بليك أن ابنتها كانت تحاول فحسب أن ترفع من روحها المعنوية وكانت ابتسامتها باهتة كامدة، قالت:

لن يغفل لى جفن حتى تعودى إلى.

لم تنم شارلى نفسها تلك الليلة، وعندما وصل برادين كويست كانت جاهزة. وارتدت البنطلون القطن والبلوزة الملونة بألوان الزهور وكانت تعتزم منحها للهنود الذين تقابلهم فى رحلاتها نظير المعلومات. وكان مدهشاً كيف أن هؤلاء القوم يشتهون الملابس الجميلة. وكان شعرها لا يزال منهدلاً على كتفيها، ولكن متى وصلا إلى دولة بيرو، كانت شارلى تنوى أن تجمعه على قمة رأسها.

ارتدى برادين حلة خفيفة، وتمنت هى أنه سوف يشترى ملابس سفره من بيرو. كانت شارلى ترفل فى الإثارة وتمنت لو كانت الرحلة بعثة عادية بدلاً من أن تكون مكرسة للبحث عن أبيها المفقود.

نظر إليها وإلى جراب المئونة الذى كان ملقى فى الانتظار فى الصالة، وكانت الحقيبة النايلون الخفيفة بجواره. إن تلك الأشياء لا تبدو كثيرة بالنسبة إلى الأسابيع المديدة التى سوف يمضونها هناك، غير أنه لم يكن ثمة إشارة على وجهه فى أنه يستحسن أمتعتها المتناثرة.

وبدلاً من ذلك لمس الحقيبة النايلون، بقدمه قائلاً:

ماذا بداخلها؟

ـ حقيبة النوم والخيمة الخاصين بى.

قال باقتضاب:

ـ انسى كل ما يتعلق بالخيمة.

ـ ولكن...

ـ باستطاعتنا معاً أن نستخدم الخيمة الخاصة بى.

رشقته بنظرة مجفلة مروعة، وصرخت:

ـ لا أعتقد فى ذلك.

وكانت المسألة محسومة. أن تنام معه؟ نظرت إلى أمها، غير أن ايزابيل هزت كتفها فحسب. لقد كانت تعلم كيف تسير الأمور فى هذه البعثات الكشفية. إذ لم يكن ثمة مكان للتواضع الزائف. ضاقت عينا برادين حنقاً، وقال:

www.elromancia.com

ـ ليست لدى النية فى حمل أشياء ليست أساسية.

احتجت شارلى بقوة، وصاحت:

ـ لن يتعين عليك أن تفعل ذلك. سوف أحملها بنفسى.

قال بصوت خشن:

ـ أخرجيها، وإلا فلا تأت.

لم يكن أمام شارلى أى اختيار، غير أن جسدها برمته تصلب بالبغض وهى تفتح الحقيبة وتأخذ منها الخيمة المتنازع عليها. ووقفت مرة ثانية وواجهته، فتلاقت عيناها الزرقاوان مع عينيه الرماديتين فى قتال صامت.

تساءلت فى صوت خفيض محكم:

ـ أوقد رضيت؟

فأومأ برأسه قائلاً:

فلنذهب.

قبلت أمها وعانقتها عناقاً وثيقاً، وصافحت إيزابيل يد بليك. وكانت ثمة دموع فى عينى المرأة، وقال لها فى خفة:

لا تحاولى أن تزعجى نفسك كثيراً. إذا قدر لزوجك أن يكون على قيد الحياة، فسوف نعثر عليه.

سوف اتصل بك هاتفياً من نيما.

قالت ذلك شارلى، وكان حلقها محتقناً بالتأثر. التقطت حقائبها، وتبعت برادين خارجة إلى حيث سيارته، لو كان رجلاً ظريفاً لحمل عنها حقائبها، ورد ذلك على بالها فأصابها بالمرارة. غير أنها يجب عليها أن تتذكر أنها ندان فى تلك البعثة. ولن يسدى لها أية منّة أو جميل.

وكان المطار يقع على مسافة ساعة بالسيارة، ولم يتكلم أى منهما كثيراً. عرفت شارلى فى أفكارها الخاصة بها، وبدا برادين منتبهاً للطريق أمامه، حتى على الرغم من أنه لم يكن ثمة سيارات كثيرة فى تلك الساعة من الصباح.

وصلا مطار هيثرو، وتم فحصهما، وبعد ذاك لم يكن أمامها ما يفعلانه

حتى أعلن عن قيام الرحلة الجوية. ومتى استقر على أماكنها بالطائرة، قالت شارلى:

ـ هل تمكنت من معرفة أين توجه أبى؟

أومأ برأسه قائلاً:

ـ لقد أعطانى روبير خريطة، و...

سألته فى شغف قائلة:

ـ هل أستطيع أن أراها؟

ـ إنها بداخل حقيبتى. وسوف أريك إياها عندما نصل إلى نيما. وسوف نقضى الليل هناك ثم آخذ طائرتى الـ. سيسنا» إلى «كوزاكو» حيث أشترى متطلباتنا وأعيد ملأها بالوقود. وسوف نطير مئات أخرى من الأميال أو ما يقارب ذلك فى الاتجاه العام الذى سلكه أبوك حتى نوفر أياماً عديدة من المشى والتجول.

تحررت شارلى وهى بعد غير مصدقة قائلة:

ـ طائرتك «الـ سيسنا»؟

نكس رأسه، وصرح:

إننى أقوم بالكثير من الاستكشافات فى بيرو. وهى توفر لى وقتاً هائلاً.

تأثرت شارلى، على الرغم من أن ذلك كان يجب ألا يدهشها. وبما كان مليونيراً. لقد كان مضحكاً، فى الواقع، أن تعرض أمها عليه المال. التقطت المجلة الكائنة على ظهر الطائرة وراحت تتصفحها، وتمنت لو أنها لم تجلس بين برادين وذلك الرجل العملاق الآخر الذى احتل المقعد المجاور للشباك.

وكانت الأكتاف تحتك بالأكتاف، وكان بمقدورها أن تستغنى عن مجاورتها لـ برادين. ولكنها لم تنكر ولم تستطع أن تنفى جاذبيته، لم تشعر بأن الرحلة التى استغرقت خمس عشر ساعة، طويلة أبداً، وأحست شارلى بالراحة عندما طارا أخيراً فوق جبال الإنديز وحلقا فوق الشريط

www.elromancia.com

الصحراوى الضيق الذى يشكل الحدود الساحلية المطلة على المحيط الهادى فى بلدان أمريكا الجنوبية. لقد طارت إلى ليما مرات متعددة من قبل وظهرت مشتاقة إلى المدينة المزدحمة المطلة على ثغر وادر النهر، وكانت ضواحيها تحوط بها الجبال الترابية المنخفضة.

أما مطار «جورج شافيز» فقد كان ساخناً ومزدحماً. واستغرق خروجها عدة دقائق قليلة ليعبرا من خلال مكاتب فحص الجوازات والجمارك وأن يشقا طريقهما إلى خارج المطار.

أثار دهشة شارلى أن وجدت سيارة تنتظرهما:

ابتسم الشاب ذو البشرة الداكنة الذى يقودها ابتسامة عريضة وهو يقول باللغة الأسبانية:

ــ حللتما أهلاً ونزلتما سهلاً يا سنيور كوبست، وأنت يا سينيورتيا.

رد برادين قائلاً:

ــ وأهلاً ومرحباً بك يا كارلوس.

فهمت شارلى ترحيبه بها وهى تنسلق راكبة السيارة، المريحة، المكيفة الهواء. وعندما مرا على مركز المدينة نظرت إلى برادين متسائلة:

ــ إننا لن نقيم فى «ليما» نفسها؟

أصدر هزة خفيفة برأسه، وقال: فى «بارانكو».

فعبست وأقطبت، قال:

ــ إنها تقع وراء مدينة «ميرافلوريس» مباشرة.

ــ أعلم أين تقع، ولكن لماذا هناك؟

فأخبرها بنفاذه صبر وضجر غير خفى، قائلاً:

ــ لأننى أعيش وأقيم هناك.

لسبب ما افترضت شارلى أنها سوف تقيم فى أحد الفنادق. وكانت قد سمعته يقول لأمها أنه يمتلك منزلاً هناك، غير أنها لم تصدقه. وكان من الواضح أنها سوف يقضيان الليل فى ذلك المكان. قالت فى هدوء:

ــ لم أتحقق وأتثبت من ذلك.

فقال محنداً.

ــ أظن أنك سوف تخبرينى نوعاً بأنك لن تريدى المقام هناك؟

أضحت عينا شارلى باردتين بينما كانت تنظر إليه. فلم يكن يقيناً يجعل الأمور تمضى فى يسر وسهولة. ففى الواقع، كان يجعلها تماماً فى نفس هيئة أنفه المجدوعة فى وجهه، إنه لا يريدها معه، وأنه يعانى من الشقاء ومشقة الإحتمال بسبب وجودها معه. لقد كان يتكلم معها فحسب عندما يكون ذلك ضرورياً. قالت:

بطبيعة الحال، لن أمانع فى الإقامة هناك.

تركزت عيناه الرماديتان الصافيتان عليها لحظة. فلم يكن ثمة ما يخبرها بما يتفكر بشأنه، صاح:

ــ ذلك شىء طيب. ولم يكن ليشكل أية تغيير فى الأمر. إننى يعوزنى التوجه إلى البيت. إذ لدى أشياء يتعين على أن أفعلها قبل أن تمضى نبحث عن أبيك.

عبست شارلى، وهى تقول:

ــ أى نوع من الأشياء؟ وكم سيستغرق من الوقت؟

وقد كان كل يوم يمثل أمراً حيوياً بالنسبة لها.

نصحها قائلاً:

أنا لا أنوى الخروج مرة ثانية منى ما عدت أدراجى إلى بيرو. إن هناك العديد من الأعمال الخاصة والشئون الشخصية التى تحتاج إلى قضائها والتعامل معها. ولكن لا داعى للقلق، إنها لن تستغرق أكثر من ساعات قليلة. بوسعك الذهاب للفراش وأن تنخرطى فى النوم العميق.

اعترضت شارلى تقول:

ــ لا يزال الوقت مبكراً للغاية.

حيث كان الفرق الزمنى بين انجلترا وبيرو ست ساعات. وبالتالى كانت الساعة تشير إلى الثامنة.

هز برادين كتفه وقال:

www.elromancia.com

ـ ألا فلتنظمى أعمالك، بما يلائمك. ولكن طالما لم تنامى على ظهر الطائرة، وطالما سيكون هناك وقت طويل قبل أن ترى مرتبة وثيرة مرة ثانية، أعتقد أنه يجب عليك أن تنتهزى الفرصة وتستمتعى بذلك. وأنا شخصياً يكفينى من النوم ثلاث أو أربع ساعات. وأشك فى أنك سوف يكفيك ذلك القدر.

وكان على حق. لقد كانت تحتاج على الأقل إلى ثمانى ساعات من النوم حتى تكون جيدة فى اليوم التالى. ابتسمت قائلة:

ـ سوف نرى:

ومرا على نادى الغولف فى مدينة سان ايزودرو المليىء بالعمارات ناطحات السحاب المقسمة إلى شقق سكنية، وتحيط بالمكان، وبها المجمعات التسويقية الحديثة. وكانا فى جزء من المدينة «ليما» التى لم يكن لدى شارلى الوقت أبداً لكى تستكشفها. لقد كانت هى وأبوها يستخدمان المدينة فقط كممر إلى الأجزاء والمناطق الأكثر إثارة غير المستكشفة فى بيرو.

نظرت حولها فى اهتمام بينما كانا يقودان السيارة عبر شوارع مدينة «ميرافلوريس» الجميلة الباهرة الأضواء، ثم إلى الضاحية الهادئة «بارانكو»، التى تمثل واحدة من أعرق وأقدم مناطق المدينة، وأكثرها جاذبية، تلك الواقعة فوق الجروف الرملية لساحل «كوستا فيردا».

أوقف كارلوس السيارة أمام أحد المبانى الكبيرة العتيقة التى تمثل طابع مدينة بارانكو. وهذا المبنى المزود بالأراضى الشاسعة، بدا كما لو كان قد أنفق عليه قدر هائل من المال فى الآونة الأخيرة.

وعلى الرغم من ذلك لم يكن لدى شارلى سوى وقت ضئيل ألقت خلاله نظرة عابرة عليه، قبل أن يدعوها برادين إلى الدخول فيه.

كان المبنى منعشاً شاسعاً وأنيقاً، ولما دخلوا حيتهم مديرة المنزل التى توحى بأنها كالأم، بابتسامة ملء شدقيها، وكان وجهها محمراً. نظرت بفضول إلى شارلى حينما كان برادين يقدمها لها، ثم هرعت إلى أعلى

الدرج من أجل التأكد من وجود غرفة جاهزة لها.

لم تضيع شارلى الوقت فى اقتفاء أثرها. ثم إفراد وتخصيص غرفة واسعة بدخلها الهواء ولها حمام ملحق، وبعد أن أخذت حماماً منعشاً ألقت بنفسها على الفراش. وكانت تتمنى من كل قلبها ألا يكون آلان روس قد مرض لقد كان رجلاً ظريفاً. دائماً ودوداً وصريحاً، وكانت تعرفه طوال حياتها. ولقد كان مقرراً أن يكونا هما الاثنان متفاهمين منسجمين. أزعجها بما فيه الكفاية غياب أبيها، واضطرت إلى أن تقنع وترضى بمصاحبة برادين كوبست وكراهيته المفرطة لها.

سمعت طرقاً مفاجئاً مباغتاً على الباب، جعل شارلى تطير واثبة من على فراشها، عبست فى وجه برادين وهى تفتح الباب، قال:

ـ لقد أحضرت خريطة روبيرت.

ومضى داخلاً فى الغرفة متغاضياً عن حالتها، ونشرها أمامها على الفراش. وكان قد غير ملابسه وارتدى بنطلوناً قطنياً وقميصاً خفيفاً. وكان ذقنه قم تم حلقه تواً، أما شعره فهو رطب مبتل.

لم يكن أمام شارلى من خيار سوى الوقوف بجانبه ودراسة الورقة.

طعن بأحد أصابعه موضعاً على وسط قطعة الورقة التى تمثل الخريطة.

وصاح:

ـ ههنا المكان الذى انطلق منه أبوك. ههنا «كوزاكو» وفى هذا المكان سوف نهبط بالطائرة. سوف نشق طريقنا على طول ذلك المكان فى تلك البقاع. وإنى لعلى يقين من أن أباك قد...

قاطعته شارلى بحدة وقالت:

ـ أوه لا. لقد قطع وغطى تلك الأراضى بسفرياته من قبل. وصاحبته إلى هناك منذ عامين. اعتقد أنه توجه فى هذا الاتجاه.

وتمنت لو أنها كانت قد تقاسمت تلك الرحلة مع أبيها. نظر إليها برادين بحدة، وقال:

www.elromancia.com

ـ دعينى أوضح لك شيئا قبل أن نسرع فى الرحلة. إننى أفعل ذلك من أجل أمك فحسب، ذلك لأنها قلقة على نحو خطير.

دارت رأس شارلى، وقالت:

ـ أتعتقد أننى لست منزعجة على أبى.

ـ اعلم أنك منزعجة. كما أعرف أنك تعتقدين أنها غلطتك. ولكننى لو كان الأمر بملكى واختيارى لما أحضرتك أبداً معى. ولقد أقنعتنى ايزابيل بأنه يجب على ـ أما الآن روس...

عبست شارلى وهى تقول:

ـ أو قد تكلمت مع آلان؟

طأطأ رأسه قائلاً: ـ نعم.

فماذا قال لك؟

رد قائلاً:

ـ قال ينبغى على ألا أبخسك قدرك.

بدأت شارلى تضحك، وأضاف:

ـ وقال لى أيضاً إنك من المحتمل أن تعوقينى عن أداء المهمة.

تحولت ابتسامتها إلى تجهم فزمت فمها، وقالت:

ـ هل آلان قال ذلك عنى؟ إننى لا أصدقك.

ـ بل قال إنك جيدة جداً ـ كامرأة.

ـ لقد كنت دائماً أنهض بنفسى ولا أشكل عبئاً على أحد.

ابتسم ابتسامة ساخرة وأضاف.

ـ أعتقد أن لدى «آلان» نقطة ضعف إزاءك.

ـ وأنت لا تزال مصمماً على السماح لى بالمجىء.

اتقدت عينا شارلى، واستبد بها التوتر وقالت:

ـ لا. لم. ما الذى جعلك تتساءل بمثل هذا السؤال؟

التوت شفتاه وأخذ يقول:

ـ لا شىء، كنت أتساءل فحسب. فأنت فتاة جذابة للغاية.

ووجودك هنا فى الغابات بدون أن تفعلى شيئاً. جعلنى أظن أنه ربما...

ـ حسناً، كان ظنك مخطئاً. وإذا اتهمتنى فى شرفى مرة ثانية فسوف...

شبك يديه على كتفيها وكشر عن ابتسامة خبيثة، أما أصابعه فقد أنشبت أظافرها فى لحمها، وقال:

ـ فسوف تفعلين ماذا؟

حزت على أسنانها، وقد بلغ بها الغضب منتهاه، وصاحت:

ـ سأجعلك فى غير حالة صالحة لأن تمس امرأة أخرى قبل مرور زمن طويل.

بدا فرحاً جذلاً من جراء ضراوتها ووحشيتها، وصاح:

ـ مجرد كلام؟ ربما كانت هذه الرحلة فرصة لكى يتسلى وينشوق المرء بأكثر مما يتوقع أحد.

اجتاحت حالة من العبوس وجه شارلى، وقالت:

ـ كيف؟

ـ حسبما تحبين، وكيفما تتصرفين، يا صديقتى المضطرمة كالنار.

ردت فى حدة لاذعة تقول:

ـ إذا اعتقدت أننى بصدد انفاق البعثة كلها فى تماشى وتجنب تصرفاتك، فيحسن ويجمل بك أن تفكر مرة ثانية. إن كل ما يهمنى هو العثور على أبى.

قال فى جدية واهتمام:

ـ وكذلك أنا.

غير أنها وتكاد تقسم بأن هناك بهكماً فى عينيه البنيتين، وعندما أرسل كتفيها غضبت شارلى وغمرها الإنفعال وابتسم وهو يقول:

ـ لا ترتبكى هكذا. لا اعتقد أنها سوف تكون المرة الأخيرة التى أراك فيها على هذا النحو.

حزت على أسنانها، فالأمر فى النهاية بيدى أنا.

www.elromancia.com

هل كان يعتقد حقاً فى أنها سوف تخلع ملابسها أمامه؟ إنها سوف تنام فى ملابسها إذا اقتضى ذلك الأمر. شعرت بالحرارة تسرى فى عروقها. لم يفلح أى رجل آخر فى جعلها تشعر.

لقد كانت دائماً رجلاً بينهم. والآن يوضح برادين كويست بما لا يدع مجالاً إلى الشك بأنها امرأة متكاملة الأنوثة.

وجهت إليه سؤالاً محدداً، قائلة:

ــ هل تسمح بمغادرة الغرفة حتى أتمكن من ارتداء ملابسى؟

ارتفعت جواجبه وقال:

ــ لم ننته من النقاش حول أى طريق سوف نسلكه.

انثنى مرة ثانية على الخريطة. وفى هذه المرة عرفت أنه كان يتعمد إثارتها. وكانت الأسئلة التى يتفوه بها بشفتيه، تختلف تماماً عن تلك التى بعينيه. قال، عندما اختلفت شارلى معه فى الرأى للمرة الثانية:

ــ لو قدر لى أن أقابل أباك، لأيقنت من أنه مضى فى هذا الطريق. إن له عقلاً منطقياً للغاية و...

ــ هل حقاً تتذكر لقاءك مع أبى؟

قالت ذلك السؤال وهى تقاطعه فى دهشة. إن برادين حتماً قابل أناساً كثيرين على مدار سنى عمله، حتى أنه من غير المحتمل أن يستعيد ذكرى رجل واحد.

قال معترفاً:

ــ أجل. لم أتذكره فى البداية، ويجب على أن أعترف بذلك، حتى تبادلت أطراف الحديث مع «آلان». لقد كان «آلان» فى حقيقة الأمر هو الذى قدمنى إليه فى أحد المؤتمرات الدولية عن علم الأنثروبولوجيا «الإنسان» فى دولة إكوادور. لقد أبدى أبوك اهتماماً مخلصاً بثقافة أهل «الإنكاس». ولقد انخرطنا فى تقصية وقت طويل نقارن المذكرات.

طأطأت شارلى رأسها، وقالت:

ــ أتذكر عندما عاد إلى البيت، لم يتوقف عن الإشادة بك والثناء عليك. لقد أثرت فيه وأعطيته انطباعاً طيباً عن نفسك.

ــ ولكنه لم يعطنى نفس الانطباع عن ابنته. ولقد أدهشنى عدم أخبارى شيئاً عنك، طالما أنت تبدين مشاركة له فى عشقه لبلاد «الانكاس». ولكم كنت أتوق وأتشوق إلى أن أسمع شيئاً عن ابنته تلك التى تعتقد أنها صبى.

ويسرنى أنك لم تقصى شعر رأسك تقصيرته.

ومدّ يده وأمسك بملء كوبها خصلات شعرها الأسود الكثيف، يجذبها إليها فى غير رحمه أو شفقة.

ــ وجه اللوم إلى أبى، ولبس لى، على الحال الذى أنا عليه.

قالت ذلك فى نبرات مهاجمة، وهى تحاول التملص والتخلص منه، ولكنها لم تفلح سوى فى إيلام نفسها. وأضافت:

ــ لقد كان يريد غلاماً. وشجعنى على أن أقتفى أثر خطواته.

وبغته أضحى محياها على بُعْدِ سنتيمترات قليلة من وجهه، أما عيناه فقد كانتا مثبتتين على ثغرها، فاعتقدت بأنه على وشك أن يقبلها.

ولم تستطع أن تتساءل، ولا أن تتحاشى التعجب عما سيكون عليه الأمر إذا طبع هذا الرجل قبلته على شفتيها.

عندئذ أرسلها على حين غرة، ومضى يمشى عبر الغرفة متوجهاً إلى النافذة، وينظر إلى المحيط البعيد، أسفل المنزل. كان ثمة فظاظة وجفاء على وجه، وكانت شارلى تتساءل، ما السبب وراء ذلك؟. هل جانبها الصواب عندما ظنت أنه سوف يقبلها؟

فى الواقع، كانت سعيدة أنه لم يفعل، لأن ذلك قمين بأن يجعل الأمور عسيرة. إذا كان يمثل فتنة قاتلة لها سواء أحبت هى ذلك أم كرهت وسيكون ضرباً من الجنون أن تعقد علاقتها بالرغبات الجنسية.

قال فى اقتضاب، وهو يستدير ملتفتاً إليها ويرنو:

ــ سوف نناقش الموقف مرة ثانية على طعام العشاء. إن لدى العديد

www.elromancia.com

من المكالمات الهاتفية التى يجب إجارها. والطلبات التى يجب أن أرسل فى شأنها... الخ.

وأريد أن تكون جاهزة فى انتظارنا حينما نصل إلى «كوزاكو».

هتفت تقول:

ــ يسعدنى أن أقدم لك العون. وقد كنت دائماً أساعد أبى فى اتخاذ القرار بشأن احتياجاتنا.

كانت عيناه باردتين حينما ثقبتا عينيها، وقال:

ــ أنا لست أباك. وإذا تقدر أننى كنت أباك، لما سمحت لك أبداً بالانغماس فى أى من تلك الأشياء، وهاتيك الأعمال.

رمقته شارلى بنظرة تم عن العصيان والتمرد، وصاحت:

ــ ماذا تظن أنك تمثل. هل أنت متعصب للرجال؟ هل تعتقد وتؤمن بأن مكان المرأة يكمن فى بيتها؟

ضاقت مقلة عينيه وهو يمشى نحوها، قال:

ــ ليس لدى اعتراض فى أن يكون للمرأة مهنة وتخرج للعمل.

ــ ولكنه لا تعتقد أن علم الآثار أحداها؟

ــ كلا البتة، إن علم الآثار يمثل مهنة طريفة للغاية. غير أن البحث فى الغابات الإستوائية، وأنت تعوزك القدرة على الاحتمال، وبنية الجسم القوية، يمثل تهوراً وطيشاً ومجازفة.

هتفت شارلى تقول:

ــ لا أظن أننى أديت أعمالاً سيئة حتى الآن.

مع وجود أب حدوب يمهد لك الطريق، لا يدهشنى ذلك.

احتجت قائلة:

ــ إنى أبى لم يجعل الأمور لى يسيرة. إذ أننى لم أحصل على أية محاباة.

أطال النظر إليها عدة ثوان، وصاح:

ــ وأنت لن تحصلى منى على أية محاباة.

ارتفع ذقنها وقالت:

ــ وأنا لا أتوقع شيئاً البتة.

أومأ برأسه، وقال:

ــ لقد مضى وقت طويل قبل أن نفهم بعضنا البعض.

حق الفهم.

التقط برادين الخريطة وغادر الحجرة. وكانت شارلى حنقى وغضبى للغاية. كيف يجرؤ على التحدث معها بتلك اللهجة؟ لقد كان بحق الرجل الأكثر إغضاباً، من بين أولئك الذين قابلتهم. أضطجعت على الفراش، والشىء الذى بادر إلى إدراكها هو طرقة الباب الخاص بغرفتها، معلناً حلول وقت العشاء.

ارتدت نفس البنطلون والبلوزة وبعد أن مشطت شعرها التحقت ببرادين على مائدة الطعام فى غرفة الطعام. كان وجهها خلواً من الزينة. إذ أنها لم تحضر معها أياً من أدوات التجميل والمكياج. إذ لن يكون ثمة وقت من أجل ذلك النوع من الأشياء.

أخبرها برادين بقول بعد عدة دقائق:

ــ لقد كنت أتحدث مع شخص ما كان بصحبه سنبسر فى اليوم الذى غادر فيه.

نظرت شارلى متطلعة عبر الملعقة المليئة بعصير الإحاص، التى كانت على وشك أن تضعها فى فمها. يالها من ضربة حظ، هتفت قائلة:

ــ من؟

ــ روبيرت كينزى، أحد أصدقائى القدامى الذين يعملون فى المتحف الانثروبولوجى.

ــ هل قال لك أى طريق ذلك الذى سلكه أبى؟

أومأ برادين برأسه، وارتعشت شفتاه طرباً، وهو يقول:

ــ أنت لم تحبى ذلك يا شارلى. لقد كان الطريق الذى اقترحه أول مرة.

www.elromancia.com

أبغضت الأسلوب الذى كان يتصرف به، وهو يضحك عليها ساخراً منها، غير أنها هزت كتفها مجرد هزة وابتسمت، قائلة:

ـ على مقدار علمى، أنا لا يهمنى ذلك فى شىء.

تهكلم قائلاً:

أحقاً ما تقولين؟

ـ حقاً ما أقول. هل لديك أية أخبار؟ هل سمع شيئاً منذ أرحل أبى؟

ـ يؤسفنى أن أقول، ليس ذلك صحيحاً.

ـ هل انطلق أبى بمفرده؟

ـ كلا، اصطحب معه أحد الهنود الذين هبطوا من الجبال منذ سنوات عديدة مضت، وهو الآن منحضر بأسلوب أو بآخر، وهو شاب هجين من أب أوروبى وأم هندية أمريكية يبلغ العشرين من العمر تقريباً. ويبدو أنها سبق أن قاما بمثل هذه الرحلات الاستكشافية سوياً من قبل.

ـ وهل أى منهما عاد؟

ـ ليست عندى فكرة.

استأنفت شارلى تناول طعامها لحظة، ثم صاحت قائلة:

ـ ماهو رأيك الأمين فى ذلك؟ هل تحسب أن أبى مازال على قيد الحياة؟

تفكر ملياً قبل أن يجيب، وقال:

وفقاً لكل الحسابات والتقديرات، كان سبنسر رجلاً محنكاً خبيراً للغاية، وهو ليس بالذى يخازف بالخوض فى غمار المهالك بدون ضرورة. غير أننى وأنت كلانا يعلم أنه فى أعماق الأدغال، ثمة قبائل لا يرحبون بالرجل الأبيض.

أومأت شارلى بالموافقة.

تغيرت نبرة صوته بغتة، وهو يقول:

ـ ومن الذى بمقدوره أن يوجه إليهم اللوم؟ لقد طردهم الفاتحون الأسبان أولاً فى القرن السادس عشر من أراضيهم وأوطانهم، والآن جاءت شركات

البترول الكبرى، وكذا شركات الأخشاب، بصرف النظر عن المستوطنين والمبعوثين الذين يفرضون وجودهم عبر ابرام الاتفاقات الخاصة بشراء الأراضى بعقود ملكية، لا تخولهم الحق فى ذلك.

اهتز صوته برادين حنقاً. إن ذلك موضوع من الواضح أنه يؤثر فيه حيث عواطفه تساند أولئك الأقوام من الهنود، وأضاف:

ـ ربما تقابل أبوك مع إحدى القبائل المعادية. وربما يكون شىء ما قد جرى له. على الرغم من أننى لا أعرف كيف يحدث ذلك.

شهقت شارلى، ولم تكن تحتمل أن يموت أبوها بهذه الطريقة، قالت:

ـ آمل ألا يحدث ذلك.

أو ربما يكون قد سقط مريضاً إن ذلك احتمال قوى للغاية. إن الحقائب الطبية لا تمثل كثير عون إذا ما أصيب أحد ما بالتهاب الزائدة الدودية.

احتجت قائلة:

ـ إن أبى لم يمرض أبداً.

ـ والبديل الثالث هو أنه ربما اعتقلته ببساطة مجموعة من مجموعات الهنود.

وأعتقد أن ذلك هو الاحتمال الغالب.

اتسعت عينا شارلى وهو يقول:

ـ ولماذا يفعلون ذلك؟ لقد قابلنا وفرة من الهنود فى رحلاتنا، بعضهم كان ودوداً صديقاً، وبعضهم كان يشك مرتاباً، والبعض الأخير كان معادياً، غير أنهم لم يسجنونا أبداً. إن أبى يتحدث قليلاً من لغاتهم. ولقد تمكن دوماً من أن يقنعهم بأننا لا ننوى ولا نعتزم إيذاءهم.

قال برادين:

ـ هو لم يقع فى الأسر، بالضبط. غير أن ثمة مجموعة من الهنود يعيشون فى المنطقة التى يستكشفها سبنسر، وقد عاش بين ظهرانيهم لسنوات رجل أبيض، هو طبيب عالج بالشفاء عضواً مهماً كان فى مرحلة متأخرة من المرض ينتمى إلى قبيلتهم. وكانت الساحرة الطبيبة لم تكن

www.elromancia.com

قادرة على أن تفعل شيئاً. فوثقوا أنها معجزة. واعتنقوا تلك الفكرة. ووجهوا الدعوة إليه لكى يقيم معهم ويعيش بين ظهرانيهم.

تساءلت شارلى وهى بعد لا تصدق:

ــ أو قد فعل ذلك؟

ــ أومأ برادين برأسه وقال:

ــ لم تكن لديه عائلة، وفضل الإعتكاف عن الحضارة. ولكنه مات فى العام الماضى.

ــ وأنت تعتقد أنهم طلبوا من أبى أن يحل محله؟ بالها من فكرة جيدة؟ إنه لا يعلم سوى القليل عن الطب.

وقال برادين:

ــ لا أعلم. إنها مجرد نظرية.

ــ فهزت رأسها، والخوف يفاقم من غضبها، قالت:

ــ إن أبى ما كان ليبقى.

ــ هل لديك أية مقترحات أفضل.

ــ أجل، وهى أنه عثر على المدينة المفقودة، فصار الوقت لا يمثل أهمية لديه.

أشاح برادين برأسه احتقاراً.

غير أن شارلى لم تكن لتقبل أن أباها يعيش مع الهنود. إن له بيتاً وأسرة يحبها. وهو ما كان ليفعل هذا مالم يكن بغير إرادته. ابتلعت ريقها فى صعوبة ومشقة وأردفت تقول:

ــ هل تعلم أين يعيش هؤلاء الهنود؟

أومأ برادين برأسه أن نعم.

ــ هل قابلته معهم؟

جعلت شارلى تناجى نفسها بأنه إذا كان هؤلاء القوم يثقون فى برادين، إذن لأطلقوا سراح أبيها. والشىء الذى كانت تتفكر فيه هو هل ثمة حقيقة بين طيات كلامه؟ ألا لعنة الله على الرجل!

ــ فى البداية، لم ألق منه أية ود أو صداقة إذ أنهم قوم شكاكون بأكثر مما يشك سائر الناس. ومن النادر أن يتجول أى امرء فى الأعماق الضاربة للغابة.

ــ إذن لو كانوا يحتجزون أبى سجيناً فإنهم من غير المحتمل أن ينصتوا إليك، أو إلى؟ بل ربما قتلونا؟

انتزعت عيناها من الفزع. ففى سائر السنوات التى كانت تصاحب فيها أباها لم تواجه أبداً موقفاً من هذا القبيل.

أشار برادين بإصبعه إلى الندبة التى على خده وأخذت هى تنظر باشمئزاز:

وصاحت:

ــ هل الهنود فعلوا ذلك؟

ــ استغرقت الإجابة منه وقتاً طويلاً، وأخذ خيال شارلى يتقد ويعمل بسرعة. إذ لم يحدث لها أبداً أن تخيلت أن تصل المخاطر إلى ذلك الحد. لماذا لم تخل بينها وبين برادين كى يذهب بمفرده؟ إنها لن تكون نظيراً أو نداً للهنود الأعداء.

وحينما نكس رأسه فى النهاية دليلاً على صحة ذلك أوشكت هى على الموت. وقالت:

ــ أوه. يا الهى!

عندئذ كشر عن ابتسامة، وقال:

ــ لقد كانت غلطتى الوحيدة. لقد كان نزالاً ودياً خسرته أنا.

ــ نزالاً ودياً؟ ما الذى كان يستخدمه غريمك، آلة حادة؟

ــ حقاً كنا نستخدم قبضات أيدينا. غير أنه جعلنى تعثرت فسقطت بوجهى على حافة أحد الأحجار.

تساءلت شارلى فى قلق، قائلة:

ــ هل كنت بعيداً عن المناطق الحضرية للعلاج؟

هز كتفه قائلاً:

www.elromancia.com

ـ على مسافة أيام عديدة.

ـ إذن فماذا فعلت؟

ـ لصقت على الجرح شريطاً لاصقاً وتعشمت أن تكون النتيجة طيبة. ولو كنت قد جعلت الجرح يخاط بالغرز الطبية فى إحدى المستشفيات، لما كان بهذه الصورة من القبح. هل تعتقدين أنه مُنفر؟

قالت فى صدق وثقة:

ـ كلا. فى واقع الحقيقة، اعتقد أنه يمثل شيئاً ما لك. إنه يجعلك تبدو كما لو كنت قد عشت حياة شريرة مستهترة.

ـ أما الحياة المستهترة، فقد عشتها على أية حال، وأما الحياة الشريرة فلا علم لى بها.

غير أنه كانت ثمة جذوة لامعة فى عينيه أثناء تكلمه.

قالت:

ـ إنى لازلت قلقى على أبى. وآمل أن نجده. كم كنت أتمنى ألا تكون قد تكلمت.

ـ إنك أنت التى سألتينى.

نكست رأسها ودفعت بطبق الطعام بعيداً، وصاحت:

ـ لا أريد شيئاً آخر، وعافت نفسى الطعام.

ـ إن «خوانيتا» سوف تعتبر تلك إهانة لاتغتفر. لقد أعدت تلك الأسماك المطبوخة بعناية. إن سمكة صغيرة ليست بالتأكيد بالشىء الكثير عليك حتى تزدردها؟ وبالإضافة إلى ذلك، لن تستطيعى المثابرة على عدم الطعام، ولن تحتملى عدم التغذية الملائمة.

أدركت شارلى الصواب فيما قاله، تمكنت من أن تأكل معظم ما قدم أمامها من طعام. وبعد ذلك تجرعاً زجاجة من الخمور المحلية، ثم سرعان ما شعرت شارلى بالرغبة فى النوم، وهو الأمر الذى أثار تقززها.

لا يزال أمام برادين بعض الأعمال كى يؤديها، ولكنه أنذرها بأنه أراد أن يخرج مبكراً فى صباح اليوم التالى.

ضبطت شارلى منبه ساعة اليد الخاصة بها. وعندما استيقظت أخذت حماماً طويلاً فاخراً ـ وهو الحمام الأخير الذى سوف تأخذه. حسبما تنسى لها الظروف. ولا يعلم أحد متى يكون ذلك ـ ثم ارتدت ملابسها القطنية: البنطلون والتنورة. وصففت شعرها ولفته وثبتته فوق رأسها باستخدام الدبابيس. وعندما طرق برادين بابها كانت مستعدة.

نظر إليها نظرة طويلة وثاقبة. وقال:

ـ لقد حان وقت الاختبار.

ولم يكن لديه أية تعليقات على هيئتها. تدل على موقفه سواء يُقِرُّ أو يرفض. أما وقد ثبتت شعرها أعلى رأسها، فقد ظهرت كما لو كانت صبياً بأكثر مما تكون فتاة. ولكن على الرغم من ذلك، بالمقارنة إلى برادين، كانت لاتزال أنثى فى المقام الأول.

أما فهو فقد بدا أكثر خشونة عن ذى قبل حينما ارتدى البنطلون الكاكى وقميصاً غجرياً. وكان شعره غثاً يحيط بوجهه.

نظرت إلى الندبة وشعرت بدافع غير مفهوم يحفزها على أن تلمسها. وأحست بأنها تحب منه أن يضمها إليه وأن يطمئنها بأنه لاشىء سوف يؤذيها. ومهما أحدقت بها المشاق. فإنه سيكون هناك ليعاونها ويرشدها ويوفر لها الحماية. غير أن هذا ليس كل ما فى الموضوع. إنها هى التى يتعين عليها الإضطلاع بشئونها. لقد قال إنه حان وقت الإختبار، ويتعين عليها هى أن تبرهن بأنها سوف تنهض بما تدعيه فى نفسها من قدرات.

www.elromancia.com

الفصل الثالث

بلاد الإنكاس

بعد تناول طعام الإفطار، أوصلها بالسيارة كارلوس إلى المطار حيث كانت فى انتظارهما طائرة برادين الـ« سيسنا » كانت شارلى قد ركبت الطائرات الصغيرة من قبل. إذ حدث أن استأجر أبوها إحدى الطائرات، بطاقم الطيار، بطبيعة الحال.

غير أنها لم يسبق لها أن أحست بتلك المشاعر من قبل: أن تكون بمفردها فى الكون الرحيب، مع برادين فقط. ومهما يحدث الآن، فإنها واقعة تحت أيدى هذا الرجل الذى لا يرحم.

استغرقت المسافة منها ست ساعات حتى وصلا إلى « كوزاكو »، تلك المدينة الجميلة الناعسة التى كان يحتلها الامير بالبون، وكانت تمثل القلب القديم لإمبراطورية « الإنكاس »، وكانت كذلك أكثر تشويقاً وإثارة عن مدينة « ليما ». ولكنها اليوم لا يستكشفان. وكانت الطلبات والإمدادات التى أمر بها برادين جاهزة تنتظرهما، وبعد أن حملا الأمتعة وملئا بالوقود الطائرة، انطلقا يشرعان فى أول جولة من جولات رحلتها.

وطارا فوق أطلال « ماشو بيكو » الموقع الهام، بل الأكثر استغلالاً من بين مواقع « الإنكاس » فى بيرو، وأخيراً، بعد حوالى ساعة واحدة تقريباً من الطيران، بدءا فى الهبوط. أما الغابة، التى لم تكن تمثل أكثر من رقعة خضراء داكنة كثيفة من على ارتفاع ثلاثة آلاف قدم، أضحت تتألف من أشجار عملاقة، وفروع باسقة، حينما بدءا فى الانخفاض والاقتراب من الأرض. هبطت الطائرة على أحد الحقول الصغيرة، وتوقفت تماماً عند مسافة قصيرة من ستر وغطاء شجيرات الأدغال.

وسرعان ما أحاط بالطائرة حوالى عشرة هنود يتبسمون وجميعهم يصطخبون ويتصايحون من أجل مصافحة يد برادين، أما الأطفال فقد أقبلوا فى شغف على الحلوى « الطوفى » التى كان يقدمها لهم. لقد كان من الواضح تماماً، أنه معروف للغاية هناك، ومحبوب إلى درجة كبيرة كذلك، وتكلم بطلاقة معهم بلغاتهم الأصلية.

أما شارلى نفسها فقد أخذ الهنود ينظرون إليها ريبة وشك، حتى وجه أحد الرجال نصف العراة سؤالاً إلى برادين، قائلاً: من هذه المرأة. وهو ينظر إليها. وضع برادين يده عليها مبتسماً ابتسامة اعجاب وراح يتحدث كلاماً بلغة الـ« كيشوا »

وفور ذلك، رغب جميعهم فى مصافحة يدها أيضاً، مبتسمين فرحين، وهم ينظرون لبعضهم البعض، يؤكدون معرفتهم بالزائرة الجديدة.

سألت شارلى سؤالاً ينم عن ارتيابها، قالت:

ــ ماذا فعلت؟

جاء تعبيره جاداً بما فيه الكفاية، وقال:

ــ أنك أنت زوجتى.

هتفت شارلى وهى تقول:

ــ لماذا؟

ــ لأنهم إن علموا ذلك قبلوك بسهولة وسرعة.

ــ إما كانوا ليقبلوننى إذا قلت لهم الحقيقة؟

ــ حقيقة أننى أحضرتك معى كرهاً عنى وضد إرادتى؟ إننى إن فعلت لتغيرت معاملتهم لنا وصاروا يعاملوننا معاملة خاصة تليق باثنين غرباء عن بعضهما. إننى مخلفتهم بأن يعيرونا بغلاً، وأحد شبانهم. إن الغابة كثيفة جداً فى الطريق والمسار الذى سوف نجتازه، ولا أعتقد أنك لن تكونى ذات كبير فائدة لى.

كانت ثمة نبرة انتقاص وحط من قدرها فى صوته للمرة الثانية، تلك التى استخدمها حينما تقابل معها لأول مرة. سرعان ما استبد الغضب

بشارلى.

– أنت لن تعطينى الفرصة، أليس كذلك.

حرك أحد حاجبيه، وقال:

– لا تنزعجى، إن فرصتك آتية. وسوف تكون شيقة. حتى نرى كفاءاتك، بصقت على الأرض وهى تصيح:

– فرصة فى انجاز النوافه من الأمور الضئيلة القيمة، التى لا تضمن جدارة استحق عليها منك التقدير.

جذبها إليها، ورفع وجهها ثم قبلها وهو يقول:

– اعتقد أنه من الأفضل أن تبتسمى، حتى نستطيع اقناع هؤلاء القوم بأننا فى حالة حب. ألا تقدرين على المقاومة. مثلى الدور حتى ولو كان يقتلك.

وكان يلثم ثغرها فى نعومة وطلاوة حينما شعر بأن جسدها قد تصلب وتيبس. اكتشفت شارلى أنه ليست بحاجة إلى النظاهر.

إذ أن الساعات التى أمضياها معاً، وحاولت جهدها أن تتنكر. لم تعد قادرة على تجاهل جاذبيته ولاقت القبلة بترحاب، فراحت ذراعاها بلا وعى تلتف حوله.

وعندما أيقن برادين بأن قبلته قد طالت، أمسك بكتفيها وراح ينظر بعمق فى عينيها، وقال:

يا له من دور تمثيلى رائع.

استدارت شارلى ورأت دائرة تتكون من الهنود الذى كان يراقبونها، فسحبت نفسها من قبضته. قال فى نبرة صوت خفيضة هامسة كما لو كان يتآمر:

– اعتقد بأنك قد اقنعتهم. وفى الواقع أوشكت أنت على أن تقنعينى أنا كذلك.

انقدت عينا شارلى احتقاراً، وأخذ هو يضحك قائلاً:

دعينا نذهب لنرى أى نوع من الأعمال سوف نضطلع بها.

كانت المستعمرة الهندية تتألف من أكواخ خشبية عديدة ذات أسقف مصنوعة من الغاء وهو قش التسقيف، وارشدهما الهنود إلى أحد الأكواخ التى كانت تستخدم عادة لتخزين الذرة، والتى كانت خالية فى ذلك الحين. وقيل لهما أنه بمقدورهما قضاء الليل هناك إذا رغبوا فى ذلك.

لم تتحقق شارلى من أنها سوف يمكثان، فقد كانت تحسب أنها سوف يشرعان فى رحلتها مباشرة. وعندما رمقت ساعتها، اكتشفت لدهشتها أنه حان وقت المساء منذ قليل. ولكن هل سوف تشارك برادين الكوخ..؟

إن مشاركته السقفية ليس بأمر مختلف عن مشاركته فى الخيمة، راح صوت ضئيل يتردد أصداؤه داخلها يقول لها ذلك. وفى الواقع، الكوخ ليس بضيق إلى درجة أن يفرد لها كوخ مستقل. وربما اعتادت كذلك على حقيقة أنه منذ الآن وإلى أجل غير مسمى، سوف تعيش على مقربة وثيقة من برادين. كما لو كانا حقاً زوجاً وزوجة. حولت شارلى تعبيرات وجهها العابسة إلى ابتسامة، وصاحت:

– سوف أحضر حقائب النوم.

وبينما كان برادين يتكلم مع الهنود، أنزلت حمولة الطائرة، ووضعت كل شىء فى أحد أركان الكوخ، أما حقائب النوم فقد جهزتها لفرشها على الأرضية القذرة للكوخ.

وأسدل الغسق ستائره أثناء قيامها بالعمل. إذ أنها كانت معتادة على ذلك التغيير المفاجىء السريع من ضوء النهار إلى العتمة المظلمة.

دعاهما الهنود للمشاركة فى تناول وجبة مصنوعة من خبز الأذرة والأسماك، والتى كانت لذيذة شهية على غير ما توقعا، إلا أن برادين صنع لنفسه قهوة من الامدادات التى أحضرها، ولم يشرب الجعة النفاذة التى كان يفضل شربها الهنود.

توجهت شارلى إلى الفراش مبكراً، وهى تأمل فى أن يداعبها النوم قبل وصول برادين، غير أنها فى اللحظة التى أغلقت فيها بطارية اليد، سمعت وطء أقدام خفيفة. وعندما فتحت ضوء البطارية للمرة الثانية،

www.elromancia.com

جلست والعرق يغمرها، حينما رأت فاراً يجرى وسط كومة من الأذرة، وقررت أن هذه هى المرة الأخيرة، التى سوف تنام فيها فى ذلك الكوخ، وأنها لن تبرح بعد ذاك خيمتها، تلك المحكمة الغلق التى لا تسمح بدخول الحشرات والهوام. والأمر الذى كان يزعجها ليس خشية القوارض أو أى حيوان أو حشرات، ولكن كانت تكره فكرة أن تجرى تلك الهوام عليها بينما هى غارقة فى النوم.

أخيراً انضم إليها برادين، وحينذاك تظاهرت شارلى بأنها مستغرقة فى النوم، تستمتع إلى حركاته حينما ألقى بحقيبة نومه يفرشها على الأرض، وهى بعد واعية ومدركة للألفة التى أحست بها من جراء مشاركتها للكوخ. استغرقه النعاس بمجرد أن وضع رأسه، وبعد ذاك نامت شارلى أيضاً، ولم يضجرها شىء سوى برادين الذى كان يزجر كتفها لتستيقظ عند الصباح.

قال برادين:

— انهضى. لقد حان وقت الرحيل.

وكان قد ارتدى ملابسه من قبل، ومتى أيقن من أنها استيقظت تماماً، اختفى عن ناظريها.

وكانت تلك اللحظة تمثل البداية الحقيقية لبحثها، على ما ظنت شارلى. وأربك معدتها الفزع عندما زحفت خارجة من حقيبة نومها، واغتسلت فى سلطانية مملوءة بالماء، أحضرتها احدى النساء الهنديات. وبعد ذلك رشت نفسها بمركب كيماوى طارد للهوام.

وأخذت جرعة من فيتامين «ب» وهو الأمر الذى كان أبوها يصر على أن يجعلها تتعاطاه. وكان يقول إنه يجعل البشرة ذات رائحة كريهة منفرة حتى أن الناموس لا يطيق فكرة الهبوط على الجلد.

وعندما حلت الساعة السابعة، كان يشقان طريقهما، وبصحبتهما بغل، محمل عليه امداداتها، وشابان من الهنود. وكانت شارلى فى المؤخرة.

وكانت الغابة كثيفة وباردة نسبياً، وهو الأمر الذى أسعدهما بعد

معاناتها من الحرارة. وكانت تتكون من ثلاث طبقات مميزة. كانت الأشجار الباسقة كالقطن الحريرى الشاسع، وبعدها تجيء أشجار البامبو الشوكية، وأشجار النخيل الصغرى، والأعشاب الخضراء، وأخيراً نباتات السرخس الكثيفة والشجيرات الخضراء الصغيرة.

وعلى مدار ساعتين من الزمان، كان يشقان مساراً ضيقاً، وأخذت ساقا شارلى تؤلمانها، وهى تحاول أن تسايرهم بالمسير فى سرعة وعزم. وعند ذاك، خرجوا إلى ضوء الشمس الباهر الساطع الذى آلم عينيها.

وتوقفا للراحة عدة دقائق، حتى على الرغم من أن «كوياسو» و«جورج» الهنديين، ظهرا كما لو كانا على استعداد للمسير إلى الأبد. تساءلت شارلى فى نفسها وهى تعجب هل كان ذلك لصالحها.

وقف برادين يحدق عابساً فى الفضاء الشاسع، وأحد يديه على عينيه يقيها من شدة ضوء الشمس. وكانا فى أحد الوديان، أما النهر فقد جف وهبط منسوبه إلى مترين، حتى أنهم كان باستطاعتهم المشى فى يسر وسهولة على طول امتداد مجرى النهر.

قال برادين لشارلى:

— إن أباك اتبع واقتفى أثر ذلك المسار. ونام فعلياً فى نفس الكوخ الذى استخدمناه فى الليلة الفائتة.

— أشكرك أنك أخبرتنى فى وقت مبكر.

فماذا كان يفيدك اخبارك لك فى وقت مبكر؟ هل تستطعين التحدث بلغة الكيشوا؟ هل كان بمقدورك أن تسألى الهنود أية أسئلة؟

— لا... ولكن..

— إذن أنا أخبرك وأعلمك الآن أنه شق هذا الطريق.

هل كانوا يعلمون بالضبط إلى أين توجه؟

هز رأسه، وقال:

— لسوء الحظ، لم يعرفوا، ولكنهم لا يعتقدون فى أن أية مضار قد لحقت به.

ـ وكيف أمكن لهم أن يتيقنوا على هذا النحو؟

رد معترفاً برأيها يقول:

ـ إنهم لم يتيقنوا.

وكان ذلك الأمر كفيلاً بأن يطيح براحة بال شارلى. فمضت تمشى نحو العزير مبتعدة عنه، وغوست يديها تحت الماء الذى انساب كالحزير عبر جوانب الجبل. وكان الماء منعشاً على نحو عجيب. قالت:

دعنا نتهل منه ونلهو قليلاً.

والمرة الثانية التى توقفوا فيها كانت على موعد تناول طعام الغذاء، وعند ذلك الحين استشعرت شارلى التوتر والجزع، بالرغم من أنها كانت قد عقدت العزم على ألا تبدى ذلك. ولم يكلف برادين نفسه ذات مرة أن يسأل هل هى على مايرام أم لا. كم كان رجلاً بغيضاً.

اشعل الهنديان ناراً وسرعان ماأعد ماء ساخناً ليخلطوا فيه حساء البودرة الخاص بها. أكلو الخبز المصنوع من الأذرة والجبن، وشربوا القهوة، وحينذاك شعرت شارلى بتحسن.

وسرعان ماشرعوا فى الترحال مرة ثانية. إن أباها لم يكن أبداً يترحل بنفس ذلك القدر من السرعة المربكة. ربما كان يفعل ذلك من أجلها كى لاترهق، على الرغم أنها لم تدرك ذلك أبداً. وكانت تهنى نفسها دائماً على مواظبتها والتزامها. وربما كان كبر سن أبيها هو الذى جعله يتباطىء فى السفر. أما برادين فهو أصغر سناً وأقوى وأكثر لياقة بدنية، غير أنها علمت شيئاً واحداً، ألا وهو أنها لن تكون بقادرة أبداً على الحفاظ على تلك السرعة يوماً بعد يوم.

وقبل حلول الغسق نواً نصبوا معسكراً لقضاء الليل، وشعرت شارلى بسعادة ورضاء عن أدائها. وفى حقيقة الأمر، كانوا يتتبعون مجرى النهر لعدة كيلومترات، ولكن برغم قلة المسافة التى قطعوها، لم تكن يسيرة أو سهلة فى مجملها. وضبطت شارلى عيون برادن يقعان عليها مرة أو مرتين، ولكنها لم تعط إشارة عن أنها كانت تجاهد وتعانى.

وكان ذلك ماتوقعه هو، وكان كذلك السبب الكامن وراء دفعه إياها بذلك القدر من القسوة. وتفاقم نفورها ومقتها له فى تلك الساعة.

وللمرة الثانية طبخوا وجبة على النيران، وما أن تناولوا الطعام، حتى ألفت شارلى نفسها واهية تكاد تسقط على الأرض. أدخلت نفسها فى حقيبة النوم داخل الخيمة، وهى تصرح:

ـ تصبحون على خير.

تقوقعت فى حقيبة النوم وهى بكامل ملابسها وكانت فى حالة غائمة ضبابية بين الاستيقاظ والنوم حينما قرر برادين أن يلحق بها. وفوراً استيقظت، وحينما لمستها يده فى كتفها، نهضت تنظر إليه. وبدا وجهه داكناً ومتوعداً فى ضوء بطارية اليد الخاصة به، فراحت قبضة يدها تتشبثان فى قوة من تحت حقيبة نومها استعداداً. سألها مستقراً.

ـ لماذا لاتزالين ترتدين ملابسك؟

ـ لأننى شئت ذلك، ولأننى أشعر بأننى..

ـ بأنك أكثر أماناً. فلا تجذعى، ليست لدى مؤامرات تستهدف النيل من جسدك. قال ذلك فى نبرة ساخرة تهكمية.

احتجت تقول:

ـ أكثر أماناً ليس منك أنت. ولكن من الهوام والزواحف والناموس.

قال مستهزءاً.

ـ إنها لن تدخل إلى هنا. فلا تكلفى نفسك عناء الكذب. إنك خائفة منى أنا.

أليس كذلك؟.

وبدأ يخلع قميصه. فأجابته وعيناها بعد فى حالة تحفز ودفاع:

ـ ربما كان ذلك صحيحاً.

ـ انظرى إلى دعينا نوضح الأمور كلها الآن وههنا. أقصى فكرة يمكن أن ترد على خاطرى.

تدبرت شارلى قوله، وعلمت أنه يريد القول بأنه غير مجذوب إليها.

وكان الصواب يجانبها فى ذلك النطق. وهو الأمر الذى جعل من مشاعرها نحوه أمراً عسيراً صعب التناول.

راحت شارلى تهز كتفها متظاهرة باللامبالاة وعدم الإكتراث وهو يقول:

ـ ومتى ما وصلنا الإرتفاعات الشاهقة، حيث يتخلخل الهواء، سوف تصبح رغبتى الجنسية منعدمة فى الحقيقة. وإنى لعلى يقين من أنك تعلمين ذلك.

ألا يضايقك ذلك؟

وارتسمت ابتسامة على شفتيه. قالت:

ـ أفضل ذلك.

قال ساخراً:

ـ لقد نسيت أنك تظنين فى نفسك أنك غلام. وأنك لن تهتمى بى.

ووقف هناك شامخاً فخوراً ينظر إليها من علٍ، قال:

ـ اقترح عليك أن تجردى نفسك من الملابس إذ أنك لو فعلت لنمت نوماً مريحاً.

سوف أفعل ذلك حينما تكون أنت فى الفراش.

أنت لا ترغبين فى أن أنظر إليك؟

لا، لم تشأ أن ينظر إليها، ولكنها لم تكن لتخبره بذلك. صاحت:

ـ ليس ثمة مكان أو غرفة متسعة تكفى لفردين. نحن الاثنين لى يتحولا فيها.

ـ اوه. إنى لآسف.

قال ذلك فى سخرية وتهكم، وجلس القرفصاء على قمة حقيبة النوم الخاصة به، وأردف:

ـ حسنا فلتخلعى ملابسك الآن؟

ـ ألا عليك اللعنة.

أزّت شارلى على أسنانها. توقعت داخل حقيبة النوم الخاصة بها، وأعطت

له ظهرها، يتكلم للمرة الثانية، قائلاً:

ـ هل لى أن أقول أنك لست تشبهين الصبية أو الغلمان. فى الواقع أنت

وكانت شارلى قد نفد صبرها، فقاطعته ببرود قائلة:

ـ لست أريد سماع ما تفكر فيه. إننى أريد النوم.

قال، والسخرية لا تزال تلازمه.

ـ هل تحسبين أنك سوف تنامين.. بدون القلق عما سوف أفعله لك؟

أجابت إجابة جافة تقول:

ـ سوف أحاول.

ـ حسناً بما أنك ترتدين الراحة فى نوم هنيىء، أتعشم أن نقطع رقعة كبيرة من الأرض فى صبيحة الغد.

أصدرت شارلى أنيناً وتأوهاً فى صمت. لقد بذلت كل طاقتها واستنفذت كل جهدها من أجل الالتزام بالمسير "هذا اليوم، وإذا أسرع فى الخطو بأكثر من ذلك لما استطاعت أبداً أن تطيق ذلك. سمعته وهو حقيبة نومه، وتجرأت على الإلتفات تطل برأسها وتنظر إليه. وعلى مسافة متر كانت تفصل بينها، أخذت شارلى تتخوف من وجودها تحت سقف واحد داخل هذه الخيمة مع أحد الغرباء.

وحينما كتبت إلى برادين تلتمس العون منه، لم تكن تتصور أياً من هذه المشاق. لقد قلب المائدة رأساً على عقب، وربما كان يجب عليها أن تحنى رأسها أمام تفوقه، ولكن بعد كل شيء، كان أبوها هو الشخص الذى يبحثان عنه، ولذلك فلماذا لا يكون لها رأى فى كل ما يفعلانه، وأى طريق يسلكانه؟

مضى وقت طويل قبل أن تشرع فى النوم، وبدا الأمر كما لو كانت أغلقت وأغمضت عينيها فحسب، قبل أن يوقظها بفظاظة ورعونة. قال:

ـ انهضى، إننا بصدد التحرك.

كان برادين قد ارتدى ملابسه وحلق ذقنه لتوه، ولف حقيبة النوم الخاصة به فى أسلوب أنيق منظم. مكثت شارلى تنتظر خروجه من

الخيمة، ثم ارتدت قميصها وبنطلونها. وهي بعد تتمنى لو كان قد أوقظها مبكراً عن ذلك. وتتمنى أيضاً لو كانت هي التي استيقظت من نفسها.

وبالنظر إلى ساعتها، وجدت أن الساعة أصبحت تمام السادسة. لا غرو ولا عجب في أنها استشعرت الضنى والإعياء.

ولكنه كان يبالغ حينما قال إننا متأهبون للمسير. فقد كان ثمة قِدْر من القهوة يغلي على الثيران، وهي التي تم تجديدها عن جذوة نيران الأمس. وبعد أن وجدت نهراً عذباً يسري بأسفل أحد الجبال اغتسلت فيه. شربت فنجانين من القهوة وأكلت بعضاً من الشوربة اللذيذة. استشعرت بالتحسن من فورها.

وعلى مدار نصف الساعة، كان قد استأنفوا رحلتهم. وأثناء الأيام الأربعة التالية، عبرو وديااً واجتازوا أنهاراً. وتسلقوا التلال الوعرة الشكسة، وعلى الرغم من القروح والبثور التي أصابتها قدميها. قطعت شارلي البيداء تطوها في شجاعة وبسالة. وكان برادين يعاملها معاملة لم تكن لتختلف عن معاملته لأي رجل آخر. فكان لزاماً عليها أن تطوي آلامها وجراحها على نفسها. لقد كان معدل السير مرهقاً كما لو كان عقاباً شديداً. ولكن إذا كان معنى هذا العثور على أبيها في القريب العاجل، إذن وجب عليها أن تثز على أسنانها وتلتزم بأعباء الطريق ومشاقه.

وعلى حين غرة، تقابلوا بالصدفة مع مجموعة من الهنود منعزلة عن العمران، قصدوها من أجل تبادل بعض الكلمات القليلة. وربما شراء المزيد من الأذرة للبغل والخبز لأنفسهم. وفي بعض الأحايين، كان المسير سلساً يسيراً، وفي بعض الأحايين الأخرى، كان لزاماً عليهم أن يشقوا طريقهم عبر الممرات الوعرة، وأن يجتازوا جلمود الصخور، والصخرات الراسخات، التي تعيق مسيرهم.

قام الهنديان بإنجاز معظم الأعمال الشاقة، غير أن برادين لم يكن يطيء العون. إذ لم يناول شارلي أبداً منجلاً لقطع شيء، على الرغم من

أنها في أول مرة أعطاها منجلاً بعد اصرارها على ذلك من أجل المساعدة، انفجر الهنديان يضحكان من جهودها المتواضعة. وكانت في قرارة نفسها تظن أنها تؤدي عملاً جيداً. كان أبوها ليجزيها عليه خير الجزاء، ولكن لم يكن ليفعل ذلك برادين. إذ رشقها بنظرة من شأنها أن تقتلها، جعل السكين تفلت من يدها، فلم تجرو على أن تمسك بها وتستأنف العمل مرة ثانية.

احتجت شارلي، على اجتيازهم لأول مرة الغابة العذراء، قائلة:

— ما كان أبي ليسلك هذا الطريق.

نظر إليها برادين ساخراً، وقال:

— من المستحيل أن نتبع نفس الطريق، كما تعلمين حق العلم. ثمة الكثير من الطرق المتنوعة التي ربما يكون قد اجتازها.

— ولكن ماذا سوف نفعل إذا افتقدناه؟

قال باقتضاب:

— لن نفتقده. إن رجلاً أبيض معروف بأنه عبر تلك القرى الواقعة على الجانب الآخر من تلك الناحية، منذ عدة أسابيع. والاحتمال الأكبر أنه أبوك.

وللمرة الثانية كان هذا شيئاً يحسن به أولاً يخبرها به. أحست شارلي بأن غضبها يتفاقم، وصرخت:

— وأنت لم تعتقد أن هذا أمر هام بما فيه الكفاية كي تخبرني به.

— ليس بمقدوري الجزم أنه هو أبوك، غير أن روبيرت كينزلي أخبرني بأنه لا يعرف أية بغية استكشافية أخرى في تلك الأونة. وبالتالي فالاحتمال الأكبر وكبير الظن يتركز على أنه أبوك. فلتهدأي يا شارلي. وإذا حصلت على أية أخبار حقيقية، سوف أخبرك بها تواً وفي الحال.

استمرت شارلي في التحديق فيه. قال بابتسامة وقحة:

— إن لك عينين جميلتين، وبخاصة عندما تكونين غضبى، وأنت تذكرينني بعيون القطط المتوحشة أو البومة.. ربما.

بصقت على الأرض وهى تصرخ :

ـ وبمقدورى أن أذكر لك أن لدى مخالب كالقطة استعملها إذا ما غضبت .

ـ وبناء عليه يجب على أن أضع نصب عينى أن أخاشاك وأن أفسح لك الطريق .

خطرت الفكرة بأن أباها قد شوهد على مقربة من المكان المتواجدين فيه ، حفزت شارلى على بذل المزيد من الجهد . ولقد أصبحا الآن فوق خط تواجد الناموس على ارتفاع الهضبة ، وهو ما كان نعمة من السماء . غير أن الجو النادر الذى لم تتعود عليه استنزف طاقتها . مضغت بعض سيقان الكوكا وتمكنت من مواصلة المسير .

لقد سبق أن أخبرها أبوها منذ سنوات خلت بأن الكوكا ، حبوبة الصحة وسلامة القوم الذين يعيشون فى تلك الارتفاعات الشاهقة . وكانت تمثل كذلك جزءاً هاماً من غذاء أهل « الانكاس » ، وحتى أولئك الهنود الذين يعيشون فوق جبال الانديز اليوم ، لا يزالون يمضغون الكوكا . إذ أنها تساعد على مقاومة ومكافحة ضيق التنفس ، وتوفر الطاقة للاضطلاع بالتحديات البدنية . وتعاطيه فى صورته الخام لا يشكل عقاراً خطيراً ، إلا لأنه مع ذلك يمثل المكون الأساسى للكوكايين ، وثمة سوق رائجة له .

كانت شارلى تشعر بالرضاء والسعادة مع نفسها حتى قرر برادين أن يقوم بجولة حول انعطافة الصخرة فى الطريق الضيق الذى كانت تطئه الأقدام وأعلن :

ـ أريد أن ألقى نظرة على أطلال « الانكاس » .

كانت شارلى تعتقد بأن الوقت غير مناسب تماماً للإستكشاف ، وأحست يقيناً بأن يختبرها عن عمد منه ، ولذلك فقد أمسكت عليها لسانها فى تعقل وحكمة . قيدوا البغل بحبل مثبت فى وتد ، واقتفوا أثر الطريق ، وكانت هناك هاوية خطيرة من تحتهم . وكان اجتيازه مماثلاً للمشى على

مدار كوّة النوافذ على قمم أسطح المبانى الشاهقة . وأصيبت شارلى بأسوأ نوبة من الدوار « الدوخة » التى لم يسبق لها أن جربتها .

غير أنها ما كانت لتقر وتعترف بهزيمتها مهما كانت الأسباب . فراحت تحدث نفسها بأن الدوار أسبابه نفسية سيكولوجية بحته ، وأخذت نفساً عميقاً ، والتفتت بوجهها نحو الحائط تتلمسه وتمشى بجواره كما لو كانت سلطعون « سرطان البحر » ، وتشبثت فى يأس بالنباتات الصغيرة التى تنبت من بين شقوق السطح ، وهى بعد لا تجرؤ على النظر لأسفل .

علمت شارلى أن أهل امبراطورية « الانكاس » كانوا نادراً ما يسافرون فى الوديان ، وكانوا دوماً يشقون طرقاتهم فى منتصف جوانب الجبال ، وربما كان الطريق الذى يسلكانه ، هو أحد الطرق الخاصة بهم .

لم يكن سواء الهنديان أو برادين يساورهما ذرة من الفزع من الإرتفاعات ، وبينما كانوا ينتظرونها حتى تلحق بهم ، شعرت بأنهم قد نفد صبرهم . إن أباها ما كان ليصر على اختيار مثل ذلك التسلق الخطر ، وكان حرياً به أن يجد طريقاً أكثر سهولة . ولم تتحقق من ذلك حتى ساعتها هذه ، كم كان أبوها يشملها بحمايته ، ولم تجرؤ على التفكير فى رحلة العودة .

ولكنها إذا كانت تتوقع من برادين أن يهنئها حينذاك ، فإنها بالتأكد مخطئة . لقد انتظرها حتى صارت فى مأمن على المسار الواسع فوق هضبة الجبل . وحينئذ شق طريقة متقدماً إلى الأمام . شعرت شارلى بالدموع الغاضبة تترقرق فى عينيها وتنسكب على خدودها ، وهو الأمر الذى لم يكن طبيعياً بالنسبة لها . يالله من رجل متوحش كالحيوان البهيم ! لقد كان بمقدوره على الأقل أن يمنحها كلمة ثناء .

وسرعان ما أصبحوا يقفون فى مكان كان أصلاً فناءً ضخماً ، وفى الوسط كان ثمة أطلال لمعبد قديم .

وكانت هناك بقايا حائط حجرى دائرى ، وفى الوسط صخرة صماء ضخمة ومسطحة طولها حوالى مترين ، وبها قنوات ضحلة تجرى عبر كل

ركن.

ـ إنه مذبح لتقديم الأضحيات.

قال ذلك برادين وهو فى حالة من الرضاء، بينما كان ينظر إلى شارلى مباشرة. وأضاف:

ـ وهم لم يقدموا الحيوانات كأضحيات فقط، بل كانت الضحايا أيضاً فتيات عذارى.

كانت شارلى تعلم كل أولئك، ولكنها مع ذلك ارتعدت وارتجفت هلعاً. إذ بدا برادين كما لو كان يلمح بأنه يرغب فى تقييدها هناك عند المذبح المقدس. ليس من أجل قتلها، ولكن لكى يرى فحسب نوع رد الفعل الذى سوف يحس به. لقد كان يريدها خاضعة تحت رحمته. وكان لا يزال غير قابل بمصاحبتها إياه، كما كان يبذل قصارى جهده كى يعقد الأمور أمامها ـ من الناحيتين الذهنية والبدنية.

أجرى أصابعه عبر ثقب فى أحد أطراف المذبح، وقال:

ـ هل تعلمين ما هذا؟

أومأت برأسها تقول:

ـ إنه ثقب لاحتجاز دماء الضحية بعد ذبح قلبها.

أكمل برادين كلامها صائحاً:

ـ وبعد ذاك تترك كما لو كانت منحاً وعطاء لـ «إنتى»

صاحت شارلى:

ـ إله الشمس. يا لها من عادة وطقس بربرى.

ـ وهو مع ذلك يفتنك ويخلب أبصارك.

أومأت تقول:

ـ إن أهل «الإنكاس» دائماً كانوا يستحوذون على اهتمامى.

ـ إلى مثل هذا الحد تخاطرين بحياتك كى ترى المواضع التى عاشوا فيها ذات يوم؟

ليس الكثير من الفتيات يرغبن فى ذلك. إذ يكفى مجرد القراءة عن

حضارتهم فحسب.

راحت شارلى تتفكر فيما قاله، وأخذت تتشكك: هل هذا مجاملة منه؟.. ثم أضاف:

ـ كما أن الكثير من الرجال لم يكونوا ليصطحبوا بناتهم معهم. حيث يؤرقهم سلامتهن.

ارتفع ذقنها شامخاً وهى تقول:

ـ هل تقول بأن أبى كان على خطأ؟

هز برادين كتفه وهو يصرح:

ـ كان ذلك اختياره هو، على الرغم من أننى على يقين من أننى لن أسمح لأية ابنة من بناتى بأن يفعلن ذلك.

ـ إن أبى لم يعرضنى قط لأية مخاطر. ولم أتعرض أبداً لأية حوادث مؤسفة.

ـ إذن أنت محظوظة.

قالت فى حنق:

ـ أو ربما كان أبى أكثر عناية ومهارة مما تظن فيه من مزايا وجدارة.

ـ فلماذا إذن هو مفقود الآن؟

أضحت عينا شارلى الزرقاوان مفعمتين بالعدوان وصاحت:

ـ لقد سبق أن قلت لى رأيك فى هذا الموضوع. وإذا كنت على صواب، إذن لا علاقة لهذه المسألة بالخبرة. أعتقد أننا ينبغى أن نمضى فى طريقنا.

رمق برادين ساعته وقال:

ـ سوف يحل الظلام سريعاً. سوف نعود وننصب الخيمة للمبيت.

لم تكن شارلى تحسب أن اليوم سيمر هكذا بهذه السرعة. لقد كان الوقت يأزف ويمر سريعاً، ولم يكن برادين يتوقف بين الفنية والأخرى للراحة كما كان يفعل أبوها غالباً، وكانت شارلى فى نهاية كل يوم تشعر بأنها منهكة القوى، تماماً، على الرغم من أنها لم تعترف بذلك أبداً.

www.elromancia.com

لقد كانت تكلف نفسها فوق طاقتها، ذلك أنها شاءت أن تبرهن لـ برادين أنها ذات نسيج متين قوى بأكثر مما تبدو عليه من ضعف ووهن.

وعبر الممر الضيق، على الهضبة الأكبر اتساعاً، كان بإمكانهم رؤية المزيد من البقايا التى لم تكن مرئية من الارتفاع المنخفض. قال برادين:

ـ إن تلك هى المدينة، وهناك ثمة جسر يصل بين طرفى المدينة المرتفعين.

تمنت شارلى لو كان هناك جسر فى ساعتها تلك حتى لا يضطر إلى اجتياز وعبور ذلك الطريق المروع مرة ثانية. وكان التسلق عبر الجبل باستخدام الجسر يبدو أكثر يسراً وسهولة. ولكن على أية حال، مجرد العناد والتصميم على الموقف فى أن تبرهن لـ برادين بأنها تستطيع أن تفعل أى شىء يستطيع هو أن يفعله، كانت تنجز كافة المهام الموكلة إليها، على الرغم من أنها بمرور الوقت وعندما هبطت أسفل قاع الجبل، كانت ساقاها واهيتين حتى أنها لم تستطع أن تقف عليها.

غير أنها مع ذلك لم تلق راحة ولا سكوناً. إذا أزعجها برادين وهو يقول:

ـ لا تجلسى. لقد جاء دورك فى طهو الطعام. أما أنا فسوف أنصب الخيمة.

لم تستطع شارلى أن تصدق ذلك. ألم يكن عنده فكرة عن الحالة السيئة التى تعانى منها؟ غير أنها لم تكن لتدخل معه فى النقاش والمجادلة، وسوف تفعل ذلك حتى ولو أدى إلى قتلها ومصرعها. وكان «چورج» و«كوباسو» قد جمعا كومة من الحطب لإضرام النيران فيها.

جلبت الماء من الشلال الذى تتساقط مياهه على بعد أمتار قليلة، وسرعان ما وضعت إناء به ماء أخذ يغلى ألقت فيه خليط البودرة.

أكلوا الطعام والخبز الكثيف المصنوع من الأذرة، وأتبعوا ذلك بأكل الموز، والبرتقال الذى اشتروه من آخر مجموعة تقابلوا معها من الهنود. وأنهوا الوجبة بشرب القهوة الثقيلة، وبعد ذلك جلسوا يتسامرون حول النيران.

وكان الجو بارداً عند ذلك الارتفاع، وكانت شارلى سعيدة بالدفء الذى تبعثه النيران، وسرعان ما شعرت بأن عينيها بدءتا فى الانغلاق فانصرفت تحمل نفسها إلى الفراش. وقد اعتادت الآن على أن يشارك الخيمة معها برادين، وفى الوقت الذى زحفت فيه متبعة إلى حقيبة نومها، لم تفكر البتة فى حقيقة أنه سوف يلحق بها سريعاً.

استيقظت مبكرة عنه. وفتحت زمام الخيمة بعناية، وخرجت منها، وكان النهار على وشك أن ينبلج وينفلق. أما الشمس فقد كانت على وشك أن ترسل بأشعتها تطارد عتمة وظلمة الليل المخملية. وكل ما كانت تسمعه هو اندفاع الماء وخريره، والحفيف الواهن لأوراق الشجر. وكان الهنديان يغطان فى نوم عميق وسبات على الأرض بجوار الرماد الداكن المتخلف من النيران.

توجهت شارلى إلى الشلال.

ووقفت تحت المياه الباردة. الأمر الذى جعلها تلهث لهاثاً حاداً كاد يعصف بأنفاسها، غير أنها كانت مياهها جيدة للغاية، وكان استحمامها هو الأمر الذى أخذته منذ غادروا تيما. أغلقت عينيها والتفتت بوجهها إلى المياه المحتشدة. لقد كانت نعمة من السماء وبركة إلهية. فتركت المياه تنساب عبر جسدها، وعندما فتحت عينيها للمرة الثانية، ألفيت برادين واقفاً بجوارها.

تجمدت شارلى من المفاجأة. لقد تبعها! إذن لابد أنه كان مستيقظاً طوال الوقت، وفعل ذلك عمداً من أجل أن يضايقها.

قالت فى حدة لاذعة:

ـ ألا تستطيع أن تحترم حاجتى إلى الخلوة بنفسى؟

وهى تخطو خطوة إلى الخلف لكى تتجنب كثافة تساقط المياه عليها.

فأصبحت الآن مثل الستارة السائلة التى تفصل بينها، ولم تعد تستطيع أن ترى وجهه فى وضوح، غير أنها كانت موقنة بأنها يتضاحك ويستمتع بمضايقتها.

www.elromancia.com

حسبت أنك قد تغلبتى على خجلك. إذ لم ألحظ أنه يسبب لك المتاعب فى الاونة الأخيرة.

قالت فى نبرة تنم عن الاحتقار والازدراء:

ليس ذلك من الموضوع فى شىء. أليس كذلك؟ وإلا لما كنت قد نلت أى قدر من النوم.

ـ إنك تبدين كالطفلة حينما تغطين فى النوم، فهل علمتى ذلك؟ إن وجهك يشى بنعومته ولطفه واسترخائه، وليس عليه أى أثر أو مسحة من العدوان الذى يرتسم عليه عادة، وقت تكلمك معى.

أحدقت إليه شارلى وهى بعد لا تكاد تصدق قوله، وصاحت:

ـ أكنت إذن تراقبنى؟

وكانت مجرد هذه الفكرة كفيلة بأن تضرم النيران فى عروقها، برغم برودة الماء.

ـ بين القينة والفينة. إنها حالة غير مألوفة فى أن تشاركنى خيمتى إحدى الفتيات.

ـ آمل ألا يعنى ذلك شيئاً بالنسبة لك.

ـ لا أستطيع أن أصدق أنك حصينة ضدى كما تتظاهرين بذلك.

وتقدم مقترباً منها بخطوة، وكان أمام شارلى التراجع إلى الخلف لو كان ثمة مكان نستطيع الذهاب إليه، غير أنه لم يكن هناك سوى حائط من الصخر الجامد وراءها.

نظرت إليه فى كبرياء شامخة بقدر ما أمكنها أن تتشامخ وقالت:

ـ هل تعتقد أنك تطبق نظريتك وتضعها موضع الاختبار؟ إننى لن أسمح بذلك. وبوسعى القتال مثل النمر إذا رأيت ذلك ضرورياً.

وإنى لعلى يقين من هذا.

قال ذلك، بينما لا تزال البسمة على شفتيه، وكان لا يزال يتحرك نحوها، وأردف:

ـ هل تعلمين السبب فى أن أهل «الانكاس» كانوا دائماً يبنون

مدنهم بالقرب من الشلالات؟

قالت شارلى:

ـ لأنهم كانوا يؤمنون بأن المياه الجارية تنقى أرواحهم.

وهذا هو عين ما تفعلينه أنت الآن، أن تنقى روحك؟ أم أنها رغباتك الطبيعية التى تحاولين اشباعها؟ إن الماء بارد جداً، أليس كذلك؟ ويدهشنى مكوثك فيه طوال هذه المدة.

ـ إذا انصرفت وغربت عن وجهى، سوف أذهب.

مد يديه وقال:

ـ إننى لا أمنعك من الذهاب.

ولكن كان يجب عليها أن تمشى خلفه! وكان هذا شرطاً وإلا لمكثت هناك، تجادله، وكانت تستشعر المزيد من البرودة بمرور الوقت وكل دقيقة.

وبجهد خارق من العزيمة رفعت رأسها لأعلى ومشت عبر المياه المتساقطة. وعلى حين غرة انطلقت يده وأمسكت بذراعها، تجذبها إليه.

وقال برادين جاعلاً إياها فى حالة من الدهشة:

ـ أنت امرأة جميلة. ولقد أصابك الفزع على هذا الجبل بالأمس، أليس كذلك؟

ولكن لم تخرج منك همسة خوف، ولم تنبسى ببنت شفه. ولكنك لن تستطيعى الحفاظ على حالتك هذه من التصلب والتجلد والخشونة لفترة طويلة، حتى برغم أنك تبذلين قصارى جهدك حتى تجعلينى أعتقد ذلك. إنه لابد وأن يكون هناك قلب أرق وأكثر نعومة.

تساءلت فى برود:

ـ وهل تعتقد أنك بأخذك إياى عنوة وضد إرادتى، سوف يساعدك هذا على اكتشاف ذلك القلب الأرق؟

ـ إننى لن أفعل ذلك. إذ أننى لم أقبل امرأة فى حياتى قط ضد رغبتها.

www.elromancia.com

وكان لا يزال يمسك برسغ يدها، ولمس ذقنها بأحد أصابعه، مرسلاً بآلاف المشاعر والأحاسيس التى راحت تسبح وتسرى عبر عروق شارلى.

كان ينبغى عليها أن تتحرك، وكانت تعلم ذلك، غير أن تركيبة المياه الدافقة وصوت برادين كانت لها تأثير عليها مما جعلها مسلوبة التحكم والسيطرة والإرادة. وكان الأمر يبدو كما لو كانا بمفردها فى الكون الرحيب، فى ذلك العالم الواسع، وبدون أن تشعر اقتربت منه وعندما تحرك رأسه تجاهها، انفرجت شفتاها بملء إرادتها.

دار العالم كله حول رأسها حينما تعمقت قبلته على شفتيها، شىء من العقل راح يخبرها بأن هذا خطأ، وأنه ليس ثمة وقت فى بعثة استكشافية لمثل هذا النوع من العواطف. وكانت تبحث عن أبيها المفقود، يا للسماء! غير أنها كلما طالت وتعمقت القبلة، كلما فارقها الصواب والعقل.

وهى بعد تشعر بكامل نبض جسده يسرى فى كل عروقه عبر جسدها، فصار قلبها ينبض فى إثارة ولوعة كما كان ينبض بقوة على مقدمة الجرف عند ظهيرة الأمس. أما ضوضاء المياه فقد أصمت أذنيها، وبمجرد أن شعرت بأنها لا تستطيع مقاومة الإثارة بعد ذلك الحد، أرسلها برادين.

وقال ساخراً:

— تماماً كما كنت أعتقد. إن المرأة لا تختلف عن مثيلتها وبنات جنسها فى شىء، مهما كانت عالية نبرة صرخاتها واحتجاجاتها.

وكان من الواضح أن تلك التجربة لم تكن ذات تأثير مدمر عليه. وكان رد شارلى عليه هو أن صفعته على وجهه فى غضب وحنق، غير أن ضحكاته وقهقهاته كانت تطاردها طوال الطريق أثناء عودتها إلى الخيمة.

الفصل الرابع

الاشتياق إلى برادين

اكتشفت شارلى استحالة تجاهل المشاعر التى استثارها برادين فى نفسها تحت الشلال. وعندما كانت تجلس حول المعسكر بجوار النار لتناول الإفطار، حاولت أن تتحاشى النظر إليه، ولكن غصباً عن إرادتها، كانت عيونها تنجذب فى اتجاهه.

وثمة ابتسامة غامضة تداعب شفتيه، توشك أن تكون ابتسامة المنتصر، وكانت تضحى بعينيها من أجل أن تعرف ما الذى كان يفكر فيه. ربما كان يتوقع منها أن تستجيب له — فلم تخبطه هى. وكانت تلك الأفكار المزعجة تنتابها بين حين وآخر.

فهل كان يدرك أنه عندما تتلاقى عيونها، كانت أحاسيسها، وحواسها تضطرب؟ إنها لم ترد أن تكون منجذبة إليه، غير أنها لم تستطع مقاومة نفسها. لقد كان ذلك شيئاً لا تستطيع هى السيطرة عليه. فهو ذو مغناطيسية لا يمكن تحديدها.

شعرت ببعض الراحة حينما انتهى تناول الإفطار، وبدأت تشرع فى زم وربط احتياجاتهم. وحتى حينما كانت يداها مشغولتين، كانت لا تزال متأثرة ببرادين وعلمت مدى الخطر الذى وضعت نفسها فيه. إذ أنها من الآن فصاعداً، سيكون ثمة اختلاف فى علاقتها ببعضها — على الأقل من ناحيتها هى.

إذ أن الشعور الذى خامر برادين، لم تكن هى تعلم عنه شيئاً. وربما كانت القبلة التى طبعها على ثغرها، غير ذات معنى أو أثر بالنسبة إليه هو. وفى واقع الأمور، أيقنت بأن تلك القبلة لم تعنى له شيئاً. فالحادث

www.elromancia.com

كله كان مصطنعاً تمثيلياً كما هى الحال فى المسارح.

لقد كانت يستهدف معرفة أى نوع من رد الفعل، سوف يتلقاه ــ وهى بدورها لم تصبه بالإحباط.

شرعوا فى القيام برحلتهم المعقدة فى تقدم وخطو مربك، وكان الهنديان يقطعان الممرات عبر الشجيرات الصغيرة والآكام، وهم يستخدمون المناجل ببراعة ويسر اكتسباه من خلال الممارسة والتجربة. ولكن حتى المجهود المبذول فى المشى فى هذا الجو النادر أغرق شارلى فى العرق، وجعلها تلهث وتتنفس فى عسر.

وهى إذا ما ظنت أن برادين سيكون أكثر تساهلاً ولیناً إزاءها، الآن، فهل لاشك مخطئة. إذ مهما كانت تعنى القبلة عن معانى، إلا أنها لم تكسر الحواجز. وكانت لايزال يعاملها نداً ونظيراً له، ويتوقع منها أن تنهض بمسايرتهم بدون أية شكاوى، وبينما كان هذا هو أقصى ما أرادته فى البداية، بدأت شارلى تحس الآن بالسخط الشرير والغضب من أنه لايقدم أية تنازلات.

ووردا بقعة فيها درج حجرى يؤدى إلى أحد الأنهار، وكانت الأحجار، كما ظنت شارلى وهى تخطو هابطة واحدة تلو الأخرى، قد أنشئت ههنا ذات يوم بأيدى بشرية ــ حيث كانت دقيقة محكمة وليست عملاً من أعمال الطبيعة. إن أباها لو كان موجوداً لمدَّ لها يداً، أو على الأقل وفى أضعف الإيمان، كان اطمئن على أنها سوف تحسن التصرف، ولكن برادين.. أبداً لم يكن ليفعل ذلك. لقد كان يطوى الطريق أمامها، ولم تلمحه ذات مرة ينظر إلى الخلف أبداً. ومن المحتمل أن تتعرض للإنزلاق والتهشم، وهو الأمر الذى كان يبهجه. ووصلت حرارة دمها إلى درجة الفوران والغليان، كما كان يحدث غالباً أثناء تلك الأيام القليلة الأخيرة.

وعلى الجانب الشمالى من النهر، كان ثمة طريق حجرى جعل المسير سهلاً. لقد كان مساراً قديماً شقة أهالى «الانكاس»، وبه أحجار تم

تهذيبها وتشكيلها كل على حدة، وتم تركيبها، لتشكل ذلك السطح الأملس الناعم. وكعادتها دائماً، كانت شارلى مولعة ومتأثرة بطرز ومناهج البناء والتشييد الخاصة بحضارتهم. حيث شيدت منازلهم ومعابدهم على نفس الطراز والمنوال، ومافتئت شارلى تعجب وتنجذب إليها.

وكان ذلك الطريق الخاص ذا اتساع يبلغ المترين، وهى مسافة كافية من أجل رجلين، أو رجل والجمل الخاص به، وأولع شارلى مجدداً فكرة المشى فى آثار أقدام ومواطىء أهل «الإنكاس» الاسطوريين التى مشوها وخطوها منذ أربعمائة عام طويت فى غياهب الدهر.

وشاءت أن تخاطب برادين بشأنها، كالمعتاد، ولكنه كعادته كان متقدماً نحو الأمام.

توقفوا لتناول طعام الغذاء، ثم واصلوا المسير للأمام مرة ثانية عبر مناطق بقاع الشجيرات النامية الكثيفة، وأماكن أخرى اتسمت بقلة كثافة تلك الكساء العشبى. وفى إحدى المناسبات، كلف برادين نفسه أن يبين لها الأطلال الحجرية لبعض الديار، قائلاً:

ــ ربما كان ساكنوها فلاحين، تراجعوا إلى أعمق أعماق الغابات عندما جاء الأسبان يبحثون عن الذهب. هل تعلمين ياشارلى، أنه منذ عشرين عاماً خلت، توقفت حياة القبائل الهندية عن البقاء والوجود فى الكون بالمعنى الخاص بحضارة «الإنكاس»؟

عبست شارلى وهى تقول:

ــ إن الأمور تتطور وتؤول إلى الأسوأ.

ــ لقد تم تجريد الهنود من حقوقهم. فهم يلقون الغش والخداع والمهانة، وهذه الأسباب عرج بعض ونفر منهم ــ فعلياً ــ إلى التوجه إلى المدن، يحاولون التخفى وستر أصولهم الهندية. إنها لجريمة أن يلحق بهم المجتمع هذه المذلة، وأن يجعلهم يستشعرون الحاجة والضرورة فى أن يفعلوا هذا.

وكان متعاطفاً مع هؤلاء القوم، ومالت شارلى إلى موافقته على هذا

الرأى. إذ أنها فضيحة ترقى إلى الخزى والعار ألا يترك هؤلاء الهنود المسالمون وشأنهم إنهم غير ذى خطر أو أذى. وكانوا فحسب عندما يحاولون حماية والدفاع عن أوطانهم، يلجأون إلى مهاجمة الغريب.

وكانوا طوال الوقت، يتسلقون أعالى وأعلى أعالى الجبل. وأخيراً توقفوا لتمضية الليل، وأشعلوا ناراً وتناولوا طعام العشاء، وذهبت شارلى مبكرة إلى الفراش. لقد كانت أعضاء بدنها تؤلمها، متشوقة إلى حمام ساخن ومرتبة مطاطية.

وعندما انضم إليها برادين، كانت لا تزال يقظى. إذ أنها كثيراً ما كانت، منذ أول ليلة تذهب إلى الفراش وتغط فى النوم قبل أن يدلف برادين إلى الخيمة. ولكن هذه الليلة راحت تحس مرة ثانية بثغره على ثغرها، وكان التفكر فى ذلك وكان النوم هو أقصى فكرة يمكن أن ترد على ذهنها.

دخل برادين الخيمة الآن، فأغمضت عينيها فى الوقت الذى أدرك هو ما ينتابها من مشاعر. وكانت تسمع الحفيف الخافت الصادر عن خلعه. وعندما كان يتمعج داخلاً فى حقيبة نومه، كان السكون يغلف المكان. ولم تستطع شارلى المقاومة والمزيد من المقاومة. ففتحت أحد عينيها بعناية ــ واكتشفت أنه كان يراقبها. قال فى ابتسامة باهته ساخرة على شفتيه:

ــ لقد علمت بأنك لست نعسى.

ــ ولكننى سرعان ما سوف أنعس.

قالت ذلك وهى تشيح بوجهها وتعطيه ظهرها. لماذا هو مهتم بما إذا كانت مستيقظة أم لا؟ هل كان ينوى ويعتزم أن يقبلها للمرة الثانية؟ أسرع معدل نبض قلبها لمجرد ورد تلك الفكرة على خاطرها.

ــ فما الذى يجعلك مستيقظة؟ لقد كان يوماً شاقاً منهكاً، لقد ظننت أنك سوف تغرقين فى النوم من فورك.

فضلت شارلى ألا تجيب. أضاف يقول:

ــ هل لذلك علاقة بما حدث هذا الصباح؟

ــ كلا.

أجابت شارلى بتلك الأجابة، وكان صوتها مكظوماً، من جراء حقيبة النوم التى لفتها وجذبتها على وجهها.

توترت شارلى وشعرت يقيناً بأنه سوف يلاحظ ذلك. إذ كان يبدو أنه لا يفوقه لا شاردة ولا واردة، إلا حالتها حيال كانت تكابد وتجاهد من أجل مسايرتهم فى الترحال. أم كان ذلك تعمداً وقصداً منه؟ لقد شعرت بشىء ما من هذا القبيل.

ــ أنت آمنة تماماً.

كان ثمة احساس بالذنب ومعاقبة للذات ينطوى عليها صوته، لم يحدث أن سمعت بها من قبل. وأردف يقول:

ــ لقد هفوت ووقعت فى زلة هذا الصباح، لقد تصرفت على نقيض طبيعتى. وأننى لن ألمسك مرة ثانية.

وكان هذا يعنى أن تلك التجربة لم تؤثر فيه ولم تفعل فعلها فيه! انغلقت شفتا شارلى وشعرت بأنها قد جرحت على نحو غريب. لماذا جعلها هذا الرجل تشعر بالإثارة والضعف، وهى الأمور التى لم تحدث لها أبداً من قبل؟

لم يحدث أن جعلها أحد من قبل تشعر بهذه اللهفة.

وثب داخلاً فى حقيبة نومه، وشعرت به يتمعج حتى استقر أخيراً، ولكن مضى وقت طويل قبل أن تنعس شارلى، وللمرة الثانية استيقظت قبل الفجر وقبل انشقاقه. وفى تلك المرة أضج مضجعها شىء ما، ولم تكن متأكدة ما هو. وكان أول تصرف غريزى أن تنظر إلى برادين، ولكن حتى الآن، على مقدار ما استطاعت أن تنظر فى الظلام الدامس للخيمة، كانت يغط فى نوم عميق.

ثم سمعت مرة ثانية، هدير ودمدمة بالخارج، ووثب شعر رأسها. لقد كانت المرة الأولى فى جميع السنوات التى أمضتها فى الترحال أن تسمع آثار حيوان يقترب بهذا القدر من مقر نومهم. وكان أبوها قد علمها أن

لا يؤذى أى حيوان متوحش أى إنسان مالم يستفزه، ولكن هذا لم يكف كى يجعلها تشعر بأية راحة. فماذا كان ذلك الحيوان؟ وماذا كان يفعل؟ هل كان يبحث عن الطعام؟ وماذا عن «كوباسو» و«جورج» وهما يفترسان الغبراء ويتلحفان بالنجوم؟ هل سوف يؤذيها ذلك الحيوان؟ وأحست شارلى بالبرودة تسرى فى أوصال جسدها.

ــ برادين.

همست، وهى تخشى أن تصدر صوتاً يحتمل أن يسمعه ذلك المخلوق، فيأتى يبحث عن مصدره. إذ من السهل عليه وما أبسط أن يشق الخيمة بمخالبه فيفتحها. اندلعت قطرات العرق تنصب من جسدها.

ــ برادين.

همست بصوت أكثر ارتفاعاً هذه المرة. وسرعان ما أصبح متأهباً قال:

ــ ماذا دهاك؟

ــ اسمع شيئاً عجيباً خارج الخيمة.

نهض جالساً وأمسك كلاهما على نفسيها أنفاسها، وهما ينهضان، وسمعت شارلى للمرة الثانية تلك الضوضاء الخافتة الصادرة من حركة الحيوان فى الجانب الآخر من الخيمة. عند ذلك، بدا وكأنه ينصرف بعيداً نحو النهر، الأمر الذى أراحها.

خرج برادين من حقيبته، وفتح زمام قلفة الخيمة بعناية، وأصبح فى العراء، وأخذ معه مسدسه. لاحظت شارلى أنه يحمل دائماً مسدساً، على الرغم من أنه لم يكن ثمة داع أبداً يستوجب عليه أن يستخدمه، وكانت تتمنى ألا يستخدمه الآن. وكانت تتعشم أن يكون ذلك الحيوان مهما كان، قد مضى لحاله.

أطلت برأسها تراقب خارج الخيمة حينما كان برادين يوقظ الهنديين الآخرين، وبعد كلمات قليلة هامسة، خرج ثلاثتهم يزحفون عبر الظلام.

ولم تستطع شارلى أن ترى شيئاً سوى الظلام الدامس لأشباح الأشجار والشجيرات وسط سماء ليل المنطقة الاستوائية المدارية، ولم تعد تسمع شيئاً

الآن سوى الهدير البعيد للنهر. وشرعت فى التساؤل والتعجب عما إذا كانت قد تخيلت المسألة كلها.

وعندما رجع برادين، أعلن أن ذلك الحيوان كان الكوجر «الأسد الأمريكى» وقال:

ــ غير أنه لم يكن ثمة حاجة بك إلى أن تنزعجى. لم يكن ليهاجمنا.

أغلق زمام الخيمة ونظر إليها، ولم تستطع شارلى أن تمسك عليها أعضاءها قال مفاطباً:

ــ أنت باردة؟

ولكن لم يكن البرد الذى يجعلها ترتجف وترتعد.

ــ إننى خائفة.

اعترفت بذلك، ولفتت انتباهه إلى الرياح القادمة عن فتحة الخيمة، وأضافت:

ــ أرجوك أن تعانقنى يا برادين. ضمنى إليك.

كان ثمة تعبير فى عينيه لم تستطع أن تفهمه جيداً. ولكنه جذبها إليه حينذاك، وتبددت مخاوف شارلى، حينما أحست بقوة ذراعيه الملتفتين حولها، ودفء جسده المليىء بالعضلات، لقد كان يمنحها الراحة والطمأنينة التى كانت تحتاج إليها، ولم يتعدى العناق/والحضن ذلك الحد.

ولكن بمرور الدقائق، بدأت شارلى فى الإحساس بانبعاث العواطف التى استثارها فيها تحت الشلال ــ مع اختلاف رقيق.

ولأنها كانت خائفة، من أن تؤدى أية حركة، أو أى صوت ضئيل، إلى فقدانها السيطرة على نفسها، أعملت يديها بينها وبينه، وحاولت أن تدفعه بعيداً عنها، وأن تنأى بنفسها عنه. قالت بنعومة:

ــ أشكرك. إننى الآن على ما يرام.

نظرت عيناه البنيتان فى عينيها ولم يبذى أى محاولة ليرسلها، وقال:

ــ هل أنت متأكدة؟

كلا، لم تكن هى متأكدة، بل لم تكن واثقة، ولكن كان ينبغى عليها

www.elromancia.com

أن تخلص نفسها قبل أن ترتكب شيئاً غبياً. وكان مستحيلاً ألا تتأثر به، قالت:

ـ أريد العودة إلى الفراش.

ـ ليس من داع إلى ذلك. فالفجر أوشك على الأنشقاق.

وبناء عليه ما الذى كان يقترح أن يفعلاه فى الساعة التالية؟ أن يمضيا الوقت متعانقين؟ دفعته شارلى عنها مرة ثانية، وشعرت بالنبض المضطرد لقلبه من تحت راحة يدها. وهى بالتأكيد صارت واقعة تحت تأثير تيار جارف من الإثارة الغامرة. كم كانت حمقاء أن تجعله يوتّر فيها على هذا النحو.

ـ لازلت بحاجة إلى الراحة.

قالت ذلك بقوة أكثر فى هذه المرة. فقال يوغبها بقسوة:

بل ليس ثمة.

ـ إذن لماذا تريدين الذهاب إلى الفراش؟

قالت تسأله فى حدة:

ـ وماذا هناك من الأشياء ما أفعله؟

ـ بوسعنا الجلوس نراقب بزوغ النهار.

قالت فى حدة لاذعة:

ـ اجلس وشاهده. سأحاول النوم فى تلك الساعة.

وأخيراً تمكنت من تحرير نفسها.

دلفت إلى داخل حقيبة النوم وأغمضت عينيها. سمعت برادين يتحرك، وبعد ذلك خيم السكون. لم يرتد ملابسه، إذن ماذا كان يفعل؟ أكان يراقبها للمرة الثانية؟ كانت فكرة مزعجة، وكانت شارلى لا تستطيع تجاهل استثارة مشاعرها الداخلية التى احترقت فى داخليات نفسها. حاولت أن تنعس وتغط فى النوم، ولكن كان هذا أمراً مستحيلاً. لقد كانت مستيقظة بما فيه الكفاية وسوف تبقى هكذا حتى يحين وقت نهوضها.

ولكن تدريجياً، حينما رفل كل شىء فى الصمت، تراخى وتلاشى

بعض التوتر، وتبدد عنها، ومن خلال تفكيرها وتصميمها على التفكير فى أبيها، أصبحت شارلى قادرة على مطاردة أفكارها المتعلقة ببرادين إلى خارج عقلها.

وكانت تأمل حقاً فى أن الهنود على الجانب الآخر سوف يتمكنون من مساعدتها. فهم لم يكتشفوا دليلاً حتى الآن على أنهم يسلكون الطريق القويم والمسار السليم، على الإطلاق. لقد كانوا يضربون خبط عشواء فى بطن الغابة، وربما انحرفوا عن الطريق بعدة أميال. وكلما تدبرت وتفكرت فى هذا الشأن، كلما استبد به اليأس والقنوط والجزع. هل كانت عاقلة وحكيمة حينما وضعت ثقتها وكامل حسن الظن فى برادين؟ ولو كانت بمفردها وتركوها وحيدة، لسلكت طريقاً مختلفاً تماماً.

راحت تتقلب فى فراشها فى نصب وهلع، وتتقاذفها الهواجس والظنون، وحينئذ تكلم برادين على حين غرة:

ـ فيم تفكرين؟

ـ أفكر فى أبى.

ولوت رأسها كى تنظر إليه. وكان جالساً القرفصاء على قمة حقيبة النوم الخاصة به، وكما ضمنت وحدست هى تماماً، كان يراقبها عن تعمد وقصد. كانت ثمة التواءة على شفتيه، حينما تكلمت، وعجبت شارلى هل قد أصابته بالإحباط.

ربما كان يتوقع منها أن تقول إنه هو موضوع أفكارها. قال:

ـ لن يمر طويل وقت قبل أن تتوافر لنا أخبار عنه.

قالت ونبرة صوتها مشبعة بالتهكم والسخرية:

ـ إذا كان أصلاً قد سلك هذا الطريق.

اقتربت حاجباً برادين إلى بعضها البعض وهو يقطب جبينه ويقول:

ـ ألا زلت تعتقدين أننى على خطأ؟

تمعجت شارلى حتى استقرت على وضع أكثر راحة، وهى تتأكد من أن حقيبة النوم قد غطت كامل جسدها على نحو محتشم، وصاحت:

www.elromancia.com

— إننى لا أجرؤ على مناقشة منطقك العقلى، ولكننى أفضل إذا اهتدينا فى المسير ببعض الإشارات والعلامات والدلائل. إننى أعرف ما قلته عن أن هناك طرائق عديدة ربما يكون قد سلكها واجتازها، ولكن حتى برغم ذلك، فإننا...

قاطعها قائلاً فى برود:

أأنت لا تريدين أن تؤمنى بأننى على صواب؟

أغمضت شارلى عينيها لحظة وصاحت:

— بطبيعة الحال، أريدك أن تكون على صواب. إننى بقيناً أكره التفكير فى أن نكون قد ارتحلنا وسافرنا كل هذا الطريق بلا فائدة، وهباء، ولكن إذا استطعنا الحصول على بعض الدلائل والمفاتيح، بعض الشارات، بصرف النظر عن تفاهتها، تدل على أن قد اجتاز هذا المسار.

— ثقى فى.

قال ذلك. أما شارلى فقد تذكرت النعبان الذى ورد فى كتاب «الغابة» للكاتب «برود يارد كيبلينغ». وكيف أنه كان لا يعنى شيئاً.

— فمتى تظن أننا سوف نصل إلى معسكر الهنود؟

نظر إليها طويلاً وملياً نظرات نافية وقال:

— إذا كنت أسافر وأرتحل بمفردى لقلت بحلول هذا المساء.

نهضت شارلى واقفة وذراعها تلتفان حولها وتقول:

— أنت لا تجرؤ على القول بأننى أعيق تقدمك.

تلاقت عيونها وظلت تتناجيان، ومضى وقت طويل قبل أن يتكلم. وقتئذ صاح:

— ألا أجرؤ على ذلك؟

كانت شارلى لا تؤمن بذلك. لقد أوشكت على قتل نفسها من أجل مسايرته. وحتماً لو لم تكن هى معه لاستطاع التقدم بخطو ومعدل أسرع مما كان؟

نهض واقفاً وقال:

— ربما لو شرعنا فى المسير مبكرين، ولو أنك بذلت المزيد من الجهد، ربما نصل إلى هناك اليوم، على أية حال.

— وإذا لم نصل اليوم، فلن تكون غلطتى أنا.

بذلك فى حدة لاذعة، ونهضت وبدأت ترتدى ملابسها. كيف يجرؤ على أن يلمح بأنها تعيق تقدمهم؟

وجدت شارلى عين ماء جارية فى ركن الجبل فاستحمت بينما كان چورج يطهو الطعام للإفطار، وكان برادين وكوياسو يحملان الأثقال والأشياء على ظهر البغل. وبمجرد أن تناولوا الطعام، انطلقوا، واكتشفت شارلى أن برادين حقاً كان يتكلم ويقول الحقيقة. إن سرعة الخطو ومعدله الذى يمضى به الآن عبارة عن تعذيب.

وعلى مدار الساعة الأولى أو ما يناهزها، تمكنت من مواصلة المسير ومتابعتهم ولكن بعد ذلك اكتشفت شارلى نفسها تتقدم فى بطء أكثر فأكثر. وجف فمها. غير أن الفارورة كانت على ظهر البغل الذى كان يتقدمها فى الأمام مع الهنديين. ولم تكن هناك حتى عين ماء تستطيع أن تروى ظمأها منها. ورفضت شارلى أن تتعرض لمهانة المناداة عليهم وايقافهم.

واستطاعت بشق الأنفس وبكل ما أوتيت من قوة أن تصمد وتواصل المسير، ولكن بمرور الساعة الثانية، واستمرار العرق ينصبب على جسدها، أصبح فم شارلى جافاً حتى أن مجرد التنفس كان يؤلمها.

وحينما كان ينظر برادين أو أحد الهنديين إلى الخلف، كانت تتصنع ابتسامة شجاعة على وجهها، وواصلت الترنح والتهادى إلى حد ما. ولكن حينما توقف الرجال أخيراً والتفت برادين نحوها، لم تستطع شارلى التصنع والتمثيل إلى أى قدر حتى ولو كان قيد أنمله، وسقطت على الأرض كومة هامدة شائنة.

والشىء التالى الذى وعته، هو أن شفتيها تم تبليلها وترطيبها بالماء، وأنها كانت ترقد ورأسها على ثنيته وانعطافة ذراعه. وجاهدت نفسها على

www.elromancia.com

الوقوف والنهوض، وأخذت القارورة، نعب الماء العذب فى اشتياق والتياع.

وكانت عينا برادين قاسية عليها وهو ينظر إليها، قال:

ـ إن ما فعلته هو عمل أحمق غبى بحق الجحيم. هل طاش صوابك حتى تتركى نفسك تتردين إلى هذه الحالة؟

قالت فى أسلوب لاذع:

ـ لماذا لم تفكر فى اعطائى الماء لأشرب؟ لقد كان لديك الماء.

هل كان هذا هو كل التعاطف والمشاركة الوجدانية التى تنتظر الحصول عليها؟

قال فى سخرية وتهكم:

ـ أوه. إنى لآسف. لم أتحقق من وجوب أن أدللك وأدلعك.

ثم انثنت شفتاه فى استهزاء وأمرها قائلاً:

ـ لا تسمحى لنفسك بأن تعرضى جسدها للجفاف مرة ثانية أبداً.

قاطبة شارلى وهى تقول:

ـ إذا لم تكن أنت بعيداً هكذا فى المقدمة، لاستطعت أن..

ضاقت عيناه وهو يقول محاولاً التكهن بما ستقوله:

ـ لاستطعت أن تصلى إلينا؟ لماذا لم تفعلى ذلك؟ هل كنا نسير بسرعة كبيرة؟ وإذا كان مقرراً لنا أن نصل إلى المعسكر الهندى بحلول الليل، إذن كان لزاماً علينا ألا نتباطىء أو نتوانى. ومن ناحية أخرى، كان بمقدرونا أن نرتب أمورنا حتى نؤجل الوصول، فيكون بالغد. إنك أنت الشغوفة المتلهفة على ذلك. ولكن بأية ثمن؟ أن تقتلى نفسك فى أثناء العملية، أم أن تكون أكثر وعياً وعقلاً وصواباً وأن تتعاملى مع الأمور بيسر وسهولة وبساطة؟

أغمضت شارلى عينيها، وهى تتنفس فى عمق وبغضب. لقد كرهت الاعتراف بأن المسير كان فوق طاقتها، ولكن كان غير ذى معنى إن تعاقب نفسها باكراه نفسها على المعاناة فى يوم آخر بنفس المقدار. قالت

تستطيع الوقوف. هل أصيب بالجنون؟ ما الذى كان يفعله؟ أوه يا إلهى، ما الذى يحدث من حولى؟ ربما كانت مصابة بالهلوسة؟ إن ذلك غير صحيح، ولا يمكن أن يقع. صاح برادين بصوت يشبه النباح صارخاً.

ـ لا تتحركى؟

وانتشل كوباسو بدقة مستعملاً عصا الثعبان الذى كان رقداً فى منتصف ساقيها. وكان ميتاً تماماً. لقد كان تصويب برادين دقيقاً. ولكنه كان من المحتمل أن يكون قد أصابها بالرصاص! إذ ما هى إلا بوصات قليلة على مبعدة من الهدف ـ أصابت البرودة أوصال شارلى لمجرد الفكرة.

حاولت أن تتكلم، ولكنها لم تتمكن إلا من أن تنعب نقيقاً، صاحت:

ـ ماذا حدث؟

وفى هذه المرة لم تكن اغماءتها من جراء العطش.

ـ لقد تحركت أثناء نومك، وازعجت الثعبان، بينما كان يزحف بجوارك مسالماً وبالطبع شاء أن يدافع عن نفسه و...

ـ وأوشك على أن يلدغنى؟

قالت ذلك وهى تلهث غير مصدقة.

أومأ برادين برأسه يقول:

ـ لقد عدنا فى الوقت المناسب.

اتسعت عيناها الزرقاوان فأصبحا كالفنجان فى الاتساع وسط وجهها الشاحب:

وماذا تفعل لو كنت قد طاش تصويبك ورصاصك؟ أو ربما لو وقع الأسوأ، وأصبتنى بالرصاص؟

هز كتفه يقول:

ـ تلك مخاطرة كان على أن أتحمل عواقبها.

أدخل برادين مسدسه فى جرابه، وقال:

ـ أرجوك بحق السماء أن تتماسكى. وتأكدى من أن هذه ليست المرة الأولى التى سوف تواجهين فيها الخطر.

www.elromancia.com

تعترف وهى تنظر إليه أخيراً:

ـ أنا لا أقدر على مسايرة ذلك القدر من سرعة المسير والخطو.

قال باقتضاب.

ـ تلك حقيقة كنت أعرفها طوال الوقت. وكان المنطق والعقل الذى فضلته هو أن أمضى قدماً إلى الأمام.

هل طول الفترة الزمنية التى سيتطلبها البحث عن أبى، تلك التى تقض مضجعك، يامستر كوبست؟ أم تراك قد وضعت مهلة زمنية لنفسك بحيث لاتتعداها؟ أم هل لديك التزامات أخرى؟ فإذا كانت سوف تخسر أموالاً، عندئذ فر عيناً من أننا سوف...

زمجر قائلاً:

ـ لقد أخبرتك بأننى لا أريد مالاً.

ولكنك لم تحب فكرة أن تتقدم معك بالمسير امرأة من النساء؟ إننى لآسفة، ولكنك كنت تعلم كيف ستؤول إليه الأمور قبل أن ترضى بمصاحبتى. وإنى أشعر بالإرتياح الآن، فهل لنا أن نمضى فى طريقنا؟

اتسع منخاراه فى غضب وقال:

ـ إننى لست بحاجة إلى شهيدة أيضاً. اجلسى وخذى قسطاً من الراحة، وارشفى الماء، ولكن ليس الكثير فى المرة الواحدة. سوف نستكشف البقاع الأمامية، ونعود سريعاً إليك. لن نتأخر طويلاً، سنغيب عنك نصف الساعة فى الأكثر. وهذا سيمدك بالوقت الكافى حتى تستعيدى صحتك وقوتك.

وبعد تساوره مع جورج وكياسو، اختفى ثلاثتهم فى الشجيرات الواطئة. أخذت شارلى جرعة أخرى من الماء، وأسندت ظهرها على جذع شجرة، وأغمضت عينيها. ولم تكن تنوى النعاس، ولكنها تعين عليها أن تفعل ذلك. ثم سرعان ما أوقظها صوت طلق نارى، وحينما نظرت تستطلع، وجدت برادين مصوباً مسدسه عليها.

اشتعل الفزع واهلع فى عينيها وسرى الخوف فى بدنها. وجاهت حتى

ليست الأولى، بطبيعة الحال.

قالت ذلك فى حدة لاذعة، وكانت كلماته بصوته الأجش أكثر فعالية مما لو لقد كان وحشياً بهيمياً مجرداً من المشاعر، وفى تلك اللحظة بدأت تبغضه وتكرهه.

ـ إذن انهضى ودعينا نستأنف المسير. بعض الكثير مما لاقينا وكابدنا، وسوف تكون مخطوطين فى الوصول إلى المعسكر الهندى عند نهاية الأسبوع.

رمقته شارلى وهى تجاهد فى الوقوف على قدميها، وشعرت بأوصالها وأعضائها رخوة لينة كالچيلاتين. اتكأت بأحد يدها على الشجرة برهة، وهى تأخذ عدة أنفاس مضطردة عميقة. وكان چورج وكوباسو يراقبانها فى قلق. أما برادين فقد كان يفحص حمولة البغل.

ـ حسناً. إنى مستعدة.

قالت ذلك، وفى التو واللحظة استأنفوا المسير. وفى هذه المرة كان معدل خطوهم أكثر بطئاً، وكان بمقدورها أن تسايرهم، وعندما توقفوا لتناول طعام الغذاء، كانت شارلى تشعر بأنها قد استعادت قوتها وطبيعتها العادية.

وبحلول الليل، كان أمامهم قمة أحد التلال لايزال يجب عليهم أن يتسلقوها.

ستتوافر لنا أنباء عن أبيك عند حلول موعد الغذاء غداً.

أعلن ذلك برادين وهو فى حالة من الرضاء بعد أن انتهوا من وجبتهم.

تساءلت فى مكر وحث تقول:

ألم أتسبب فى إعاقتك كثيراً، بعد كل شىء؟

نظر إليها لحظة، ثم ظهرت ابتسامة حقودة بعض الشىء فى أحد أركان فمه، وهو يقول:

ـ لقد أغيزتنى عملاً طيباً ـ فيما يناسبك كامرأة.

www.elromancia.com

إنه ثناء وإشادة صادرة عنه بكل تأكيد. فأجابته بعينين متقدمتين:

لقد أخبرتك بأنني ممتازة، ولكنك لم تصدقني. طاب مساؤك يا برادين، سوف أتوجه إلى الداخل، طاب مساءوكما ياجورج وأنت يا كوباسو.

وأنا كذلك.

قال ذلك برادين، الأمر الذى أدهشها، وكان يعتاد الجلوس يتسامر مع الهنديين لمدة حوالى الساعة فى أعقاب خلودها إلى الفراش. ولم يقل لها أبداً ما الذى يتحدثون ويتسامرون بشأنه، كما أنها بدورها لم تسأله أبداً عنه.

وكان واضحاً أنه لم يكن لديه شيء يقوله فى تلك الليلة.

وعلى الرغم من حقيقة أنها كان ينبغى أن تعتاد على برادين ونومه فى نفس الخيمة على بعد ياردات قليلة منها فإنها شعرت بالارتباك وانطلقت تدخل إلى حقيبة نومها وتتأكد أنها مغطاة حتى ذقنها.

ضحك فى نفسه قائلاً:

ــ ماذا دهاك؟

وواصل فك زرابر قميصه بطريقة متأنقة فى دعة وخمول، أضاف:

ــ أنت بالتأكيد لازلت لاتخشينى منى أن أنظر إليك.

قالت برشاقة:

ــ كلا بطبيعة الحال.

ــ إذن أنت تخشين من أن ألامسك.

علام، وإلام يهدف من كل مايقوله؟ راحت تعجب. لماذا يوبخها؟

قالت فى برود:

ــ لا أظن أن هذه الرحلة تمثل الوقت أو المكان الملائم للانغماس فى الملاطفات والمعاكسات العرضية. إن كل ما يهمنى هو العثور على أبى.

ــ ولكنك تنجذبين إلى ولا تنكرى ذلك.

أضاف ذلك بسرعة، حينما بدأت فى الاحتجاج، قائلاً:

ــ إن هذا أمر واضح لى كما لو كنت تحملين راية تعلنين بها الحقيقة.

سألته فى حنق، وقد استبدت بها فورة الغضب:

كيف بحق الجحيم تسنى لك أن تعرف ما الذى أحس وأشعر به؟ هل أنت خبير فى النساء؟

التوت شفتاه فى سخرية، وقال مردفاً:

ــ أظن أننى قادر وكفء فى قراءة الإشارات والدلائل.

ــ حسناً، فماذا وجدت؟ إننى أجدك جذاباً أحياناً ولكن لا يعنى هذا أننى فخورة به.

ــ ماذا تكون استجابتك وردك إذا قلت لك إننى أجدك جذابة أيضاً؟

نظرت إليه شارلى فى دهشة، وصاحت:

لا أصدقك. لقد جعلت الأمر واضحاً بما فيه الكفاية بشأن أفكارك عنى.

أرتفعت حواجبه، قائلاً:

ــ أو قد فعلت؟

ــ أجل، لقد فعلت.

ــ إذن، فما هو رأيى فيك؟

وجلس على حقيبة نومه، فى مواجهتها. وكان المصباح يلقى بالظلال على وجهه، فأصبح من العسير قراءة تعبيراته الصحيحة.

ــ أنت تعتقد أننى ضعيفة. وتظن بأننى غير قادرة وغير ذات كفاءة. وتحسب أن من الجنون اتيانك بى معك إلى هنا.

قال فى نعومة:

ــ إننى لا أتحدث بشأن براعتك الفائقة كمغامرة. إننى أتحدث عنك كإنسانة، كأنثى، كامرأة أنثى مفعمة بالأنوثة. اخلعى شرائط وعصابة شعر رأسك، يا شارلى. دعينى أرى شعرك سائباً طلقاً منهدلاً على كتفيك. إنها الطريقة التى أعشقها للغاية.

www.elromancia.com

شعرت شارلى بسرعة خفقان بنض قلبها، وقالت:

لا أعتقد فى أنك تجدنى جذابة بهذا الأسلوب وبتلك الطريقة.

عبس جبينه، وقال:

ــ لماذا تقولين ذلك؟

ــ لقد انتهزت كل فرصة من أجل أن... أن...

وهزت رأسها، وتوقفت عن إيجاد الكلمات المناسبة.

غير أن برادين لم تكن عنده تلك التحفظات، وقال:

ــ من أجل أن أبثك الحب وأن أعيشه معك.

ابتلعت شارلى ريقها بمشقة وأومأت برأسها تنكسه، أما عيناها فقد زاغتا.

ارتفع حواجبه، وصاح:

ــ وماذا حدث فى كل مرة قبلتك فيها؟ لقد قلت لك قبلاً، إننى لم أفرض نفسى أبداً على أية واحدة.

وانخفضت نبرة صوته إلى دمدمة منخفضة مثيرة وأردف:

ــ ولا أنوى أن أفرض نفسى عليك يا شارلى.

وانثنى للأمام وأخذ شرائط عصابة الشعر من ضفائرها وجدائلها، وكانت واهية غير قادرة على إيقافه. ثم أجرى أصابعه عبر شعرها، يرفعه ويحرره، ويجعله يتهدل فى موجات كثيفة وثقيلة.

ثم جلس ونظر إليها، فشعرت شارلى بنفسها والوخز يشمل جسدها كله من رأسها حتى أخمص قدميها. لمست بلسانها شفتيها وأصبح تنفسها ضحلاً. وأخذت تعجب ما الذى سوف يفعله بعد ذلك. قال:

ــ أنت جميلة للغاية.

أردف: ولا تشبهين الفتاة التى صممت على الحفاظ على مسايرة الركب مهما كان الثمن. أو تلك التى اعتزمت قتلى لأننى أعدو بخطو سريع للغاية.

اتسعت عينا شارلى. لقد كان دائماً يبدو متناسياً لها. والآن من الواضح أنها قد أساءت الحكم عليه. فأضحت الآن لا يتنابها ذلك الشعور على وجه

التحديد. وشعرت بأنها هشة كلية، أنها تستجيب لبرادين بإرادتها واختيارها الخاص.

أمد يداً، وراحة يده على أقصاها، وهمس قائلاً:

ــ تعالى إلى.

وبعد تردد خفيف لا يذكر، وضعت شارلى يدها فى يده وتحركت نحوه. تلاقت عيونها وتعلقت ببعضها البعض، وصارت الإثارة تتصاعد فى جسدها بمرور كل ثانية. وتمنت لو أنه قبلها أو احتضنها، أو فعل أى شىء آخر بدلاً من مجرد النظر إليها.

لقد شاءت أن تقبله كثيراً جداً، ولكن إلى أين سوف يؤدى بها ذلك؟ لماذا تذعن للإغواء والاغراء، طالما كان لا يعنى شيئاً، ليس إليه، على أية حال؟ وعلى مقدار ماكانت تدرك بحواسها ومشاعرها، أدركت وعلمت أنها غير واثقة. لقد تنامت عاطفتها تجاهه. لقد كانت هناك أوقات أبغضته وكرهته فيها من كل قلبها، وأوقات أخرى لا تستطيع أن تنكر أو تتجاهل فيها العواطف التى أثارها فيها. وفى تلك اللحظة الدقيقة، أضحت تلك المشاعر قوية للغاية فى حقيقة الأمر الواقع.

شمل وجهها بكفيه ونظر إليها طويلاً نظرة ثاقبة، ثم زلق أصابعه عبر كثافة شعرها، وهو يمسك برأسها. ولم يكن إذ ذاك ثمة أختيار لدى شارلى

أغلقت عينيها وضغطت فمها إلى فمه، قبلته شارلى حينذاك كما سبق أن قبلها هو.

لم تكن تريد له أن يتوقف. وشاءت له أن يستمر ويستمر. إذ كان يصعدها إلى مكان ما فى السماء السابعة. بأحاسيس لم تعرفها من قبل.

وكان ثمة شحوب فى نبرة صوته، تلك التى دلت على حاجة إلى الاستحواذ على المزيد منها أيضاً، حتى ولو اقتضى ذلك تمضية وانفاق الليل كله معاً. قال:

ــ ولكن يحسن بك الآن الإنصراف إلى فراشك، وإلا فلا أعلم ما الذى سوف أفعله بك فيما بعد. إنك حقاً فاتنة.

— هل أنا كذلك؟

وقد صعد منها حواجبها فى عبوس ضئيل.

— بالنسبة إلى فتاة تعترف بأنها تفكر وتتصرف كالرجل. وبالنسبة إلى فتاة حاولت تكراراً ودائماً أن تقصينى عنها. أجل. أنت كذلك.

قالت فى ارتباك باهت:

— لم استطع مقاومة نفسى.

— هددها بقول:

— وإنك لئن لم تتحركى بعيداً قصياً عنى. فلن أكون بقادر على مقاومة نفسى.

تمنت أن يستحوذ عليها ولكن كان ذلك خطأ. فمنى ما قضت تلك الرحلة وترها. واكتشفا ما الذى حدث لأبيها. فإنها لن تراه أبداً مرة ثانية. إنه يريدها الآن. أجل. ولكن ذلك بسبب أنه رجل وهى إمرأة. وتواجدا معاً فلم يكن بد مما لابد منه. ولم يكن التفاؤهما إلا أمراً محتماً. وفى ظل ظروف أخرى. لما نظر إليها مرتين.

وعلى مضض وامتعاض. برغم ذلك. سحبت نفسها أخيراً منه وزحفت داخلة إلى حقيبة نومها. انزلق برادين إلى داخل حقيبة نومه. وأطفأ المصباح. ولكن شارلى علمت بأنها سوف تعانى من المشاق والمتاعب حتى تستطيع النوم. إذ كان جسدها يوخزها من رأسها حتى أخمص قدميها. وأيقنت من أنها واقعة فى حب برادين متردية فيه.

الفصل الخامس

اقتحام الأدغال

وعندما ارتحلوا من غدهم التالى. كانت ثمة خفة ورشاقة فى خطو شارلى. ولم ذلك بسبب ما حدث فى الليلة الماضية. على الرغم من أن ما وقع فى ليلتهم الفائتة كان مدمراً. واليوم سوف يتلقون بعض الأنباء عن أبيها. إن ذلك كان محور وغاية الرحلة كلها. فوجب عليها ألا يفوتها مشهد من مشاهدهما ولو لثانية.

وكالمعتاد ذرع برادين الطريق متقدماً نحو الأمام ومعه جورج، وكوباسو. أما البغل فقد تبعهم وراءهم. وأما شارلى فقد كانت تمثل مؤخرة الركب. ولم يعد يهمها تأخرها إلى الوراء آخر الركب. عندما استيقظت كان برادين قد سبقها فى مغادرة الخيمة. وأما هى فقد اضطجعت رافدة تتذكر لمدة دقائق عديدة قبلاته التى طبعها على ثغرها بالأمس وسرى الدفء عبر جسدها بكامله لمجرد تفكرها فى ملامساته إياها. والآن أضحت قادرة على مرافقته بدون أن يفطن إلى ذلك.

لقد كان أكثر الرجال عدوانية بين من لاقتهم من الرجال.

وكان أطول من الغلامين الهنديين بعدة بوصات. ذا منكبين عريضين. وذراعين قويين. وساقين عضليتين. كان خشناً وحيوياً. تماماً بتمام كما كان ذا جاذبية طاغية مستبدة. ولم يكن يبدو عليه الضنى أبداً. وظهر كما لو كان بمقدوره أن يمشى ويمشى طوال النهار بدون أخذ قسط من الراحة.

ولكن كان حماقة منها أن تقع فى حبه، ووجب عليها أن تبذل قصارى جهدها كى توقن وتوثق من أنه لن يعرف أبداً. وربما لم يكن الحب وحده

فحسب ذلك الذى نضمره له. ربما كانت الجاذبية البدنية المحضة.

وعلى أية حال، بوسعها أن تواجه على نحو أفضل، مدركة أنه فى النهاية، سوف يفترقان، وعندها لا تأسى على ماض سلاها.

تألمت ساقاها على نحو لا يطاق عندما صعدوا يتسلقون آخر مرتفع، وكانت سعيدة عندما نادى برادين فيهم بغلن التوقف.

لقد ارتحلوا مسافات شاسعة فوق المعتاد بدون الحصول على قسط من الراحة، غير أن معرفتها بأنهم على وشك أن يسمعوا أنباء عن أبيها مدها بالقوة للمواصلة.

سقطت على العشب الأخضر واصابتها الصدمة عندما أمرها برادين بالنهوض وجمع الحطب من أجل النار. قال:

ـ أعرف أن الوقت مبكر. ولكننا بالمثل سوف نتناول الغذاء مبكراً الآن، وبعد ذلك بمقدورنا مواصلة السير حتى نصل إلى المخيم الهندى.

وكان جورج وكياسو عادة يجمعون الحطب، فرمقت برادين بحنق. إن هذه ليست المرة الأولى يتصرف فيها على هذا المنوال بعد تقبيلها. إنه يبدو كما لو كان يندم على لحظة الضعف ويحتاج إلى تعويض النقص فيها. حسناً، دعيه يفعل ذلك. إنها لن تجادله. ولكن لا يحسن أنها سوف تسمح له بتقبيلها مرة ثانية. فإذا كان سوء الجزاء إذن يتعين عليه أن يحتفظ بقبلاته لنفسه.

ومتى أفعمهم الطعام، استأنفوا رحلتهم، وحينما أصبحوا على مرمى السمع من المكان الذى افترض برادين أنه المعسكر الهندى، أصدر كوياسو صرخة عالية يغلب عليها طابع الغناء، علمت شارلى أنها طقس عادى يمارسه الهنود عندما يقتربون من أقوامهم. فقد كان من غير الحكمة فى شىء الهجوم عليهم بدون أعلان، إذ ربما كانوا قوماً أعداء.

وبمرور الوقت وصلوا إلى قاع الهضبة، حيث اعترض طريقهم ثلاثة رجال يقفون عبر الطريق. وكانوا يرتدون عباءات فضفاضة كالمعاطف يصل طولها حتى الركبة، وكان شعرهم ملفوفاً إلى الخلف بشرائط

وعصابات شعر، وكانوا أبعد ما يكونوا عن الود والسلام.

أول ما طرا على فكر شارلى أن هؤلاء القوم ربما أصابوا بالأذى أباها، وأصابت عمودها الفقرى رعدة من الخوف. نظرت إلى برادين، فلمس بيده كتفها، وقال:

ـ انتظرى ههنا. سوف أذهب وأتحدث معهم.

راحت تراقبه بقلق وهو يقترب من المجموعة الهندية ويتكلم معهم لمدة طويلة، بدون أن يبدو أية تقدم أو فلاح. وبعد ذاك نادى على جورج وكوياسو.

وفى أعقاب ما بدا وكأنه ساعات من المخاطبة، على الرغم من أنها ربما كانت دقائق، عاد برادين أدراكه إليها، وقال:

ـ حسناً، إنهم سوف يسمحون لنا بالمقام الليلة.

ولكن أبى، ماذا قالوا عن أبى؟

وجهت إليه شارلى هذا السؤال وقد نفذ صبرها، وتحولت جبهتها إلى عبوس وتقطيب متجهم محير. ومن المؤكد أنه لم ينفق معظم الوقت يساهم عما إذا كان باستطاعتهم نصب خيمتهم. أجاب عليها سطحياً:

ـ لم أسألهم عن أبيك بعد.

لم تستطع شارلى أن تصدق، وقالت:

ـ إذن ما الذى استحوذ عليك وغيبك طويلاً.

وجه إليها نظرة تشبه نظرة الوالدين إلى الطفل الذى يسأل أسئلة حمقاء، وقال:

ـ أنت، بخلاف أية إنسانة أخرى، يجب عليك أن تعلمى أنه ليس كل الهنود أصدقاء. لقد خضت مهمة عسيرة كمهمة الشيطان من أجل إقناعهم بأننا لا ننوى إيذاءهم.

ـ لا يجب علينا المكوث ههنا، إننا نريد فحسب أن نعلم ما الذى حدث لأبى.

ـ وهم سوف يخبروننا فى الوقت الذى يناسبهم هم. لقد شعرت

www.elromancia.com

بالحاجة إلى كسب ثقتهم قبل أن أشرع فى توجيه الأسئلة إليهم.

لم يعد ثمة شىء بوسع شارلى إلى قوله. هزت كتفيها وبدأت تمشى نحو أول مجموعة من الأكواخ والسقائف ذوات الغماء.

وبينما كانوا ينصبون خيمتهم فى ساحة طلقاء رحيبة، أحاط بهم الأطفال الذين راحو يشاهدونهم، وأفواههم مفتوحة، وهم بعد أقل خشية وخوفاً من البالغين، الذين إما ألقوا نظرة عليهم من مسافة كافية للحرص على أنفسهم، أو مضوا إلى أعمالهم كما لو لم يكن لهم وجود.

قدم برادين إلى الأطفال الحلوى التى أخذوها وهم خجولين ومبتهجين. شرح برادين يقول:

— إن بعضهم لم يحدث له أن رأى أبداً رجلاً أبيض.

سألته فى الحال:

— وماذا عن أبى؟ ربما يكونون قد رأوه.

قال فى نفاذ صبر وضجر.

— ربما. يجب علينا أن ننتظر ونرى.

ظنت شارلى أنه كان حريصاً فى غير ضرورة، وعلمت أنها لو استطاعت التحدث بلغة «الكيشوا» أو أية لغة يتحدث بها هؤلاء الهنود، لسألتهم مباشرة عما إذا كانوا قد شاهدوا أباها. لقد كان يبدد الوقت. وهم لذا علموا ذلك، لارتحلوا وانطلقوا مع أول تباشير الصباح وبزوغ الفجر. أما الآن فيتعين عليهم أن يصبروا حتى يعتقد برادين أن الوقت الملائم قد حان من أجل الإفضاء بسؤاله إليهم.

لم تستطع النوم فى تلك الليلة. ليس خشية من الهنود، ولكن من جراء القلق. لقد كانوا قريبين بهذه الدرجة، وفى نفس الوقت بعيدين للغاية فعن اكتشاف ما إذا كان سبنسر قد اجتاز هذا الطريق أم لا، وعما إذا كان مختفياً فى وسط المخيم، على الرغم من أنها لسبب ما تشككت فى ذلك. إذ لأحست بوجوده بكل تأكيد.

إن هؤلاء ليسوا القوم الذين حسب برادين أنهم أقنعوا أباها بالمقام معهم.

فماذا لو كان محتجزاً ضد إرادته؟ وما هى الفرصة المتوافرة أمامهم الأربعة كى ينتهزوها أمام قرية بأكملها تعدادها حوالى ما يزيد عن المائة هندى؟ وماذا لو وجدوا أباها ولم يستطيعوا حينذاك اقناع الهنود بالسماح له بالإنطلاق معهم؟ وماذا تفعل هى لو أن أباها نفسه لم يشأ أن يعود؟ علمت شارلى أنها لم يعد بمقدروها إحتمال الأمر.

— بحق الرحمة بنفسك، أذهبى كى تنامى.

وصل إلى شارلى صوت برادين الأجش، عندما غيرت موضعها للمرة المائة. قالت فى حدة لاذعة:

— لا أستطيع.

أو قد كان يحسب أنها تتململ وتتلوى على هذا النحو تصنعاً وتزلفاً بغير أن تكون مضطرة إلى ذلك، ولا تستطيع تحاشى التوتر؟

— إذن على الأقل ارتدى ودعينى أحصل على بعض النوم.

لعدة دقائق بغيضة غالبت شارلى نفسها وفعلت ما أمرها به، ولكنها نست نصحه وعنابه، وانطلقت تذرع المكان جيئة وذهاباً مرة ثانية. وفى اللحظة الثانية، أقسم برادين بأغلظ الإيمان قسماً، وسمعته يخرج من فراشه، ولكن شيئاً لم يرد على ذهنها من أنه سوف يفتح زمام حقيبة نومها وينزلق فيها بجانبها. صاحت:

— برادين! ماذا تظن بحق السماء أنك فاعله؟ هيا أخرج من هنا!

قال:

— أتيقن من أنك لن تتحركى مرة ثانية.

وكان صوته هادراً، وأنفاسه دافئة على وجنتيها.

والبقاء على تلك الوضعة الآن عذاب. إذ كل بوصة من بدنها قد استثارت، حتى النفس الذى تستنشقه، تشم فيه رائحة المسك المنبعثة منه، وأصبحت الآن أكثر تيقظاً عما كانت حينما أتت إلى الفراش.

غير أن برادين كان من الواضح أنه لم يشعر بمثل تلك الإثارة. إذ صار تنفسه أكثر عمقاً، وأصبحت أعضاؤه أكثر ثقلاً، وأخيراً نعس، وأغضب

شارلى أنه يستطيع النوم وهى بين ذراعيه، وأن وجودها واستحواذه عليها على هذا النحو الوثيق القريب لا يعنى له شيئاً.

وعلى الجانب الآخر، إذا ما هو حاول أن يبثها الحب، لكانت قد حاربته بكل ما أوتيت من قوة. وكل ما فعله هو أنه استغرق فى النوم، على الرغم من أن ذلك قد أصاب كبرياءها. غيرت هجعتها إلى موضع أكثر راحة بعناية، واستغرقت هى أيضاً فى النوم، وقد وضعت رأسها تستقر على كتفه.

وعندما استيقظت كانت وحدها فى حقيبة النوم وفى اللحظة التى فتحت فيها عينيها نظر إليها من أعلى، وقال مبتسماً:

ــ صباح الخير.

ردت عليه مترددة:

ــ صباح النور.

وكان ثمة تعبير على وجه لم تستطع أن تفطن إليه. إنه نوع من المسرة الغامضة السرية. وأضحى جسمها أكثر دفئاً. هل حدث شىء ما أثناء الليل ولم تستطع هى أن تتذكر شيئاً عنه؟ لقد بدا هو رجلاً راضياً تماماً عن نفسه. فاستعادت حلمها.

وفيها، كانت هى وبرادين بمفردهما فى الغابة. وكان يرتدى رداء أبيض وهى فستاناً أبيض للسهرة كان يلمع باللآلى والنرتر. وكان مع كليهما مناجل وشقوا طريقهما فى هدوء عبر الشجيرات الخضراء الصغيرة، ولم يكتشفا أنه من غير اللائق أن يرتديا ملابس على هذا النحو. وبدا كلاهما يبحثان عن مكان ما، وأخيراً وجدا فرجة وباحة من الأرض الفضاء فى الغابة تتصف بالرومانتيكية فى جمالها وفتنتها وهدوئها وعزلتها حيث تعانق فى سكون ودعة وكان العشب الأخضر يانعاً من تحتها وبدا كلاهما فى غير حاجة إلى أكثر من ذلك اللهم إلا ذلك التعطش والجوع فى أن يتلامسا ويعرفا تماماً، بالضبط مشاعر وردود فعل كل منهما الآخر.

قبلها وسرت رجفة ورعدة عبر شارلى لما تذكرت كيف أن شفتيها

بكل عواطفها.

ــ فيم تفكرين؟

أعادت شارلى نفسها إلى أرض الواقع، من فورها، وكانت عيناها تلمعان زرقتها لمعاناً فوق المعتاد، حينما نظرت إليه نحو الاتجاه الأعلى، وقالت فى تردد وعدم تأكد:

ــ لقد حلمت حلماً، إنه لا يتم عن شىء، فهو مجرد...

ــ افض إلى لكل تفاصيله.

قال ذلك وهو يجثم جالساً القرفصاء وسدد إليها نظرة مفعمة بالمعانى حتى أن كل عصب من أعصابها راح يصرخ فى جسدها. وراحت تعجب كم مقدار الخيال وقع فى ذهنها، وكم مقدار الحقيقة التى وقعت على أرض الواقع. لقد لامسها، وكانت تشعر بذلك بكل خلجات نفسها. لقد كانت عيناه تنمان عنه وتفحصانه، أم كان الحلم برمته محض خيال وأوهام؟ وتمنت شارلى من أعماق قلبها لو كانت تعلم الحقيقة علم اليقين. صاحت:

ــ كلا، لن..، لقد كان مجرد حلم مختلط، أو اضغاث أحلام مجنونة.

ــ وهل كنت أنا فى ذلك الحلم؟

ــ أومأت برأسها أن نعم.

التوى فمه إلى أحد جانبيه ونهض واقفاً للمرة الثانية وشرع يرتدى قميصه، وهو يصيح:

ــ خبرينى، ما الذى كنت أفعله، وكان يتصف بأنه أحلام مجنونة؟ إذ أننى لا أرتاح إلى ذكر ذلك الكلام عنى.

كذبت شارلى وهى تقول:

ــ لا شىء.

وقد أخذت وجنتاها تتوردان وتتوهجان.

كنت أفعل لا شىء؟ هلم أسردى لى سائر الوقائع يا شارلى، إن

www.elromancia.com

تعبيرات وجهك تفضحك وتقول لى بأننى كنت أفعل شيئاً يهدد عفافك. أكان ذلك....

لم تطق شارلى تهكماته بعد الآن. ووضعت يدها على أذنيها وقالت بصوت أجش:

— اخرس! قلت لك اخرس. وإلا، اسمعت؟ لا أريد التحدث بشأنه.

— كل ذلك لأنك تعتقدين أنه ربما لم يكن حلماً؟

أشاحت بوجهها عنه فى ضرارة من الغضب. وكانت سخرية ضحكاته تزيد حنقها، قال:

— ما الذى أصدقه الآن وأعرف أنه يدور فى ذهنك الآن؟ يالك من مسكينة ياشارلى. حلم أو لا حلم، تلك هى المشكلة، كما قال شكسبير أكون أو لا أكون تلك هى المشكلة. وإننى لعلى يقين من أن شاعرنا الخالد سوف يسامحنى لأننى أسأت النقل عن شعره.

وبضحكة خافتة أخرى، فتح زمام الخيمة وخرج مختفياً. أما شارلى فقد تفاقم بغضها له ومقتها وكراهيتها، وهى تضيق ذرعاً بفرضه سطوته عليها. وأحست بأنها إنسانة غريبة مختلفة عن شخصيتها الحقيقة، إذ كان عقلها وبدنها يتصرفان وفقاً لمنوال غريب عجيب لم تعهده من قبل، وهو الأمر الذى أبغضته.

وفى فترة مبكرة قبل أن يسدل الليل بستائره المظلمة، أخبرها برادين بأن أباها منذ أسابيع عديدة كان قد أقام ومكث فى نفس هذا المعسكر. فسألته وقد أخذتها الإثارة كل مأخذ، وتزايدت سرعة نبضات قلبها على حين غرة، قالت:

— إذن هل نحن نسير على نفس الطريق الذى سلكه؟ أى الطريق اجتازها؟

تغضن وتجعد وجه برادين وارتسمت تكشيرة عليه وصاح:

— ثمة أراء متضاربة بشأن ذلك. إنها مسألة على كبير أهمية لأنها

سوف تقرر أى الطرق سوف نجتاز وأيها سوف ندعه، وأيها هو الأكثر ترجيحاً واحتمالاً.

ومد يداً مستخرجاً خريطته ونشرها على الأرض. ركعت شارلى على ركبتيها بجواره. وكانت الوجهة والغاية التى من المفترض أن أباها قد قصدها، فى دائرة حمراء، وحتى اللحظة وعلى قدر ما استطاعت أن تفهم وتستوعب، كان الاحتمال الأكثر وضوحاً والطريق الذى توجه إليه يشير إلى الناحية الشمالية الشرقية.

قالت:

— لقد توجه إلى هذا الاتجاه وسلك ذلك الطريق.

وكانت تنظر فى وجه برادين. لمعت عيناه مثل الفضة فى ضوء النهار الخافت، وأحست شارلى بنفسها تفقد ذاتها فى لحظة واحدة فى أعماقه وتتبدد فى داخلياته. قال يخبرها:

— إن المسار المباشر ذا الاحتمال الأعظم فى أن يكون أبوك قد سلكه، ليس دائماً الطريق الأكثر يسراً.

أجابت:

— لقد تحققت من أن...

وكان له حقاً عينان من أجمل ما رأت فى حياتها. إذ كانت مجرد نظرة واحدة منها بمثابة تربيت على جسدها، وبمثابة إثارة فى حد ذاتها. واقتضى منها جهداً ومشقة أن تحول عينيها عنه وتركز على الخريطة.

لعنت شارلى نفسها بسبب استجابتها على هذا النحو الواضح، وأقسمت بأغلظ الإيمان فى نفسها بأنها فى المستقبل سوف تحتفظ بمسافة بينها وبينه. وسوف تجعل عدم اهتمامها به من هذه الناحية أمراً واضحاً. إنها فردان من فريق يبحث عن أبيها وسوف تكون ممتنة لو أنه عاملها على هذا النحو فحسب إن المتاعب ناشئة من أنها رجل وامرأة، يصاحبها شهوات الرجل وشهوات المرأة.

وهو أمر ربما كان مجازاً لو أنه كان يحبها. ولكان ذلك قد جعل مهمة

www.elromancia.com

البحث هذه أقل إيلاماً. إذن لاستمتعت بالإثارة النابعة عن علاقة الغرام حتى تستطيع اخماد القلق الذى تحس به بشأن اختفاء أبيها. غير أن الحب لم يكن وارداً على تفكيرها. إذ لم يقع أبداً لها من قبل. وحينما ترتبط رجل فإن ذلك بسبب حبها له حقاً، وارادته أن يتزوجها، وحتى فى هذه اللحظة علمت بأنها ربما تكون قد وقعت فى حب برادين، أما هو فإنه حتماً لايكن لها تلك المشاعر، وبناء عليه كان الحل الأمثل هو الابتعاد، وأن يحتفظ كل منهما بمسافة بعيداً عن الآخر. قال وهو ينهض:

ـ سوف نرتحل عند الفجر. ولو كنت مكانك لتوجهت إلى الفراش مبكراً.

نظرت شارلى إليه بعبوس باهت، وهى تشعر يقيناً أنه يقصد أنه سوف يلحق بها فى الخيمة، وأنه ما اقترح توجهها مبكراً إلى الفراش إلا حجة وذريعة يتذرع بها من أجل نيل مأربه.

لن أحاول أن أوقظك حينما أعود.

قال ذلك، وخبرتها ابتسامة أنه يعلم بالضبط ما الذى تفكر هى فيه، أضاف:

ـ لدى بعض الأعمال سوف أقضيها من أجل التزود بالأطعمة. طاب مساؤك.

علمت شارلى بأنها لن تفهمه أبداً، حتى ولو بعد ألف عام. وبمجرد أن بدأت فى التفكير فى أنه يعتزم انتهاز الفرصة كى يتحكم فيها، وجدته يتصرف كالرجل الرزين العاقل المحترم.

توجهت إلى الفراش وهى بعد مثقله بالمشاعر المختلطة، ولأنها لم تفعل شيئاً طوال النهار، لم تشعر بالتعب. هجعت تضطجع متمددة وهى تنظر إلى سقف الخيمة، وتفكر فى برادين.

وكيف لاتفكر فيه؟ كان طبيعياً من أبيها أن يملأ مخيلتها حتى عهد بعيد، ولكن برادين كان متواجداً ههنا لحماً ودماً، ولم يكن من سبيل أن تتجاهله.

لقد خفق له قلبها بقدر كبير، فكيف تخفى عنه ذلك؟

استدارت تهجع على أحد جانبيها ولكنها كانت لاتزال مستيقظة حينما أتى برادين الخيمة. لم يتكلم، على الرغم من ذلك، وقررت أنه من الأفضل أن تتركه يظن أنها نائمة.

وسمعت حفيف النايلون عبر جلده وهو ينزلق داخلاً فى حقيبة النوم. وعند ذاك خيم السكون الصمت.

استمتعت شارلى إلى صوت تنفسه، تنتظر أن يتعمق عندما يستغرق فى النوم. إذ حينما يغط فى النوم، تعلم بأنه فى استطاعتها هى كذلك أن تنام. إذ حينذاك فحسب، تشعر بأنها فى مأمن سالمة، ولكن آمنة هو أو من نفسها هى، لم تستطع أن تتبين وتتأكد من ذلك.

وحينما كسر صوته هدأة السكون، أجفلت هى وقد روعت. قال:

ـ ألا تزالين مستيقظة بعد يا شارلى؟

لم تجبه.

ـ هل كنت تنتظرينني؟

إنه غرور الرجل! حركت رأسها تديره حتى تنظر إليه، غير أن الخيمة كانت دامسة الظلام حتى يمكن أن ترى شيئاً سوى تقاطيعه العامة.

قالت:

ـ فلماذا إذن أفعل ذلك؟

ـ لأننى أعتقد بأنك بدأت تستمتعين باللحظات التى أمضيها معك.

قالت فى حدة لاذعة:

ـ إنك لن تأتى لتدخل فى فراشى مرة ثانية.

ـ إننى لاأحلم بذلك، إنه غير مريح بالمرة، ولكننا لو فتحنا زماء حقيبتى نومنا معاً، لصنعنا غرفة لد.....

صرخت:

ـ فلتذهب إلى الجحيم! هل تعتقد حقاً أنك، لأننى نسيت نفسى ذات مرة، تستطيع أن تعاملنى بخشونة كلما ورد ذلك بخيالك؟

قال بأسلوب لاذع:

ـ أن أعاملك بخشونة؟ هل هنا هو ما تشعرين به؟ هل هذا حقاً هو ما تعتقدين أننى أفعله؟ إننى لآسف يا شارلى. إننى آسف حقاً للغاية. وذكرينى بألا أمسك أبداً مرة ثانية.

وأحدب ظهره مشيحاً عنها، وطغى عليه الصمت، وعلمت شارلى أنها ينبغى عليها أن تعتذر له، ولكن لو هى فعلت لانتهى الأمر بها إلى عناق بعضها البعض، والارتماء فى أحضانه، ولم تكن تريد ذلك. والحل الأمثل أن تتركه يستمر فى التفكير على هذا المنوال.

وأخيراً نعست، وما هى إلا دقائق قلائل كما أحست هى، حتى وجدت برادين يهزها ويخبرها بالاستيقاظ والنهوض للترحال.

يوماً شاقاً وراء يوم شاق، وبرادين لا يرحم نفسه فى مطاردته لهدفه. ولم يكن بينها بعد العلاقات الأليفة التوددية، كما أنه هو لم يفرد لها أية محاباة. فى الواقع، أعطاها منجلاً وأمرها بأن تنهض بنصيبها من العمل.

ظهرت على يديها النفطات والثبرات والقرحات، ولكنها لم تشتك أبداً ولو مرة واحدة. وكانت ذراعاها وكتفاها يؤلمانها، وتسخط عليها عضلاتها وتتقلص، غير أنها كانت تتجلد. إن ذلك هو كان عين ما طلبته وسيكون أمراً قاتلاً أن تشتكى. فى الواقع، كانت تستمتع بذلك تماماً. ولكن لو كانت عريكته تلين قليلاً، أو يتراجع عن دفعها إلى نقطة التلف والمرض فى صحتها، لكانت الأمور أفضل. ولو أنه تفكر قليلاً فيها وأفرد لها بعض الاهتمام، بدلاً من معاملتها بلا مبالاة، لقد كان يعامل جورج وكوباسو معاملة أكثر وداً، بأكثر مما يتصرف إزاءها.

الفصل السادس

اللقاء الصاعق

كان برادين على حق حينما قال إن سبنسر بليك لن يكون فى المعسكر الهندى. وأما شارلى فقد تحطمت لما سمعت أنه لم يمر حتى بجواره. قالت فى عاصفة هو جاد:

ـ كنت أعرف أننا سلكنا الطريق الخطأ. لقد كان يجب علينا أن نشق المسار الآخر إذن لكنا الآن هناك. يا إلهى، لماذا استمعت إلى كلامك؟

ـ وانفجرت فى برادين غاضبة حتى كادت تضربه.

قال برادين فى نفاذ صبر:

ـ ليس بالضرورة أن نجد أباك هناك لو سلكناه. إن أباك ربما طاف حول هذا المعسكر. إن هؤلاء القوم ليسوا مسالمين كما رأيت.

وفى حقيقة الأمر، لم يكونوا قوماً مسالمين. إذ أن جورج أصدر صيحة المناداة المعتادة حينما اقتربوا، وعند ذلك مباشرة وفى الحال، كانوا قد حوصروا من الهنود الذين تسلحوا بالأقواس والسهام. واستغرق الأمر من برادين وقتاً طويلاً حتى استطاع اقناع هؤلاء الاشراس أنهم لا ينوون الشر.

ـ تكبدنا مشقة اجتياز ذلك الطريق كله بلا جدوى.

أخذت شارلى تحادث نفسها وقد استحوذت عليها فورة الغضب والإحباط، وراحت تذرع المكان جيئة وذهاباً فى ثورة عارمة، وكانت فتحتا أنفها منتفختين، وصفحة وجهها شاحبة كالورق الأبيض. وصرخت:

ـ كم أود لو قتلتك

www.elromancia.com

— إن ذلك سوف يجعلك تشعرين بتحسن، أليس كذلك.

كان ثمة توتر فى وجه برادين أيضاً، ولكن شارلى لم تعتقد أنه بسبب عدم حصولهم على أخبار عن سبنسر. لقد كان اتجاهها هو الذى يغيظه ويحنقه. ولكن ما الذى توقعه؟ وجعلت تزفر وتنفث أنفاسها عبر أسنانها الصريرة.

ألا عليك اللعنة. لن أنصت إليك مرة ثانية.

رد عليها بوحشية صارخاً:

— وعليك أنت اللعنة، يا شارلى بلبك. لقد وضعت أمك ثقتها فى. وإذا لم يكن لديك ثقة فى، إن اقترح عليك أن تخلى بينى وبين مواصلة المسير، وأن تعودى أنت إلى بيتك.

قالت فى حدة لاذعة:

— وأنت تعلم أن ذلك مستحيل.

— إذن اصمتى ودعينا نستمر فى رحلتنا.

— هل لازلت تنوى الاستمرار فى الطريق الذى كنا نسير فيه.

— هذا صحيح.

— ألست تعتزم اختصار الطريق لتوفر علينا جحيم المسار الطويل؟

— سوف يكون جحيماً ذلك المسار الذى تقترحين السير فيه. ولن تستطيعى احتمال مشاقه. إن تسلق جباله مخاطرة لا تحمد عقباها.

وأحست شارلى بأنه يغريها القول بأنها تراهن على استطاعتها تسلقها، غير أن ذلك طيش وتهور. وبدلاً من ذلك هزت كتفها وأشاحت بوجهها عنه. كل هاتيك الأميال التى قطعوها — وتلك التى لا تزال أمامهم لاجتيازها، أليست بكثير، كانت فكرة هدت كيانها. وغاصت منها كتفاها وشعرت بأنها واهية فجأة.

وعندما مست يد برادين كتفها، أجفلت مبتعدة، وبرقت عيناها.

قال برادين:

— إننى حزين أيضاً ولست أعتقد بأننا كنا ننتظر أن نجد سبنسر،

ولكننى حسبت أننا ربما نظفر ببعض الأخبار. أنا آسف يا شارلى.

— وماذا يفيد أسفك؟

قالت ذلك وهى تنأى وتقرمنه، وأردفت تقول:

— إن أسفك لن يقرب أبى منا أية مقدار.

نظر فى برودة عينيها الغاضبتين، وقال:

— أنت بذلك تظهرين سذاجتك وعدم نضجك، يا شارلى، حيثما توجهين اللوم لى.

صرخت:

— عدم النضج. إن ذلك أمر لا يمكنك الإدعاء بأنه صحيح.

— إذن كفى عن الولولة على شىء ليس من خطأ أحد، ودعينا نواصل المهمة فى ايجاد والعثور على أبيك.

تلاقت عيونها وتثبتت عدة ثوان، وفى التو واللحظة شعرت شارلى بانعدام أية اثارة. وكان الغضب المحض يجرى فى عروقها. وعند تلك اللحظة، أبغضت برادين كوبست من كل قلبها.

وفى النهاية أعرضت عنه، وبدأت تتقدم فى المسير وهى تمسك بلجام البغل. وكانت فى كل خطوة تخطوها تبث غضبها وسخطها، وكأن البغل يحس بمزاجها المتعكر، وعلى حين غرة توقف مضرباً عن المسير، ولم يفلح أى شد أو جذب أو إقناع فى أن تستطيع هى من جانبها أن تجعله يسير مرة ثانية.

ولم يهدىء من عصبيتها حقيقة أن جورج وكوباسو كانا تبسمان وأن برادين كان يبذل قصارى جهده فى أن يخفى ضحكه وسروره. فراحت تنظر إلى ثلاثتهم، وصاحت:

— أنا لا أعرف ما الذى ترونه مسلياً ومضحكاً. إنى لأراهن فى أن أياً منكم يستطيع أن يفعل أفضل مما فعلت. لقد صمم البغل وعاند فى أنه لن يمشى، وأنا لا ألومه. لقد جعلتمانا فى حالة سخيفة وغير مريحة.

وبدون نطق كلمة واحدة، أخذ برادين لجام البغل، وجعل يربت فى

أسلوب وطريقة ملطفة ومشجعة تحفزه على العمل والنشاط، وهو يتمتم بكلام غير ذى معنى مطلقاً لشارلى لم تفهم منه شاردة ولا واردة. ولكن البغل تحرك للأمام وأخذ يسير، فسقط الهنديان الشابان على الأرض من فرط ضحكهما. فأخذت شارلى تغلى فى داخلها ورفضت أن تنظر إلى برادين. بينما كانوا يستأنفون الرحلة.

وكانت الأيام التالية مملوءة بالتوتر والمشاحنات. وكانت شارلى لا تزال تلوم برادين بسبب ايلاجه فى الطريق الخطأ، وجعل برادين الأمر واضحاً أنه يرى ألا داعى مطلقاً لذلك. وكان الجو عند الليل حينما يرقدان لا يطاق. إذ لم تستطع شارلى النوم، وعلمت أن برادين أيضاً كان يرقد مستيقظاً، ولكنها رفضت التحدث إليه. فالموقف لم يكن يحتمل ذلك.

وذات يوم ارتقوا مرتفعاً ووجدوا أنفسهم على حافة معسكر هندى آخر، ولم يتوقعوا أن يصادفوه كما أنهم لم يعلنوا وجودهم على الأسلوب المعتاد، فشبكت شارلى يدها على فمها جزعاً وخوفاً. لقد كانت تعرف مدى خطورة التطفل على أحد المعسكرات الهندية بدون إنذار.

قال برادين شيئاً فى سرعة البرق إلى جورج، الذى امتثل للأمر فى ثقة، فاستطلع الأمور وعاد سريعاً يقول إنه لم يسبق له السفر فى هذا الطريق وذلك المكان من قبل، ولم يعلم شيئاً عن هذه القرية.

مشت شارلى بالقرب منهم ناحية الخلف تنظر وتتلفت حولها فى خوف. ذلك أن القبيلة لم تبدو مسالمة، وهم قوم فى واقع الحقيقة ظهوراً أكثر ضراوة فى عداوتهم من أى قبائل هندية أخرى قابلوها فى ترحالهم، وكانوا يرتدون أقراصاً معدنية فى أنوفهم وأشياء كثيرة من الحلى بخلاف ذلك.

توقف تقدمهم حينما سد صف من هؤلاء الهنود المخيفين طريقهم، وعلى مدار عشرين دقيقة، جعل برادين يفاوضهم فى نقاش محتدم. وفى إحدى المراحل، أشار إلى شارلى، فراحوا ينظرون اليها، فخارت قواها، ولم تكد تستطيع أن تحمل نفسها على قدميها. انتهت المناقشة حينما قادوهم

عبر القرية بصحبة فريق حراسة منهم إلى الداخل تساءلت شارلى تقول:

ــ ما الذى يحدث؟

ولكن برادين لم يجب، وحينما وصلوا أخيراً إلى آخر الأكواخ الخشبية، وقف ثم تراجع يسمح لها بأن تسبقه بالدخول إلى عرصته.

جفلت شارلى وحاولت التراجع، وهى تظن أنها سوف تؤخذ أسيرة وسجينة، وأخذت تنظر إلى برادين متسائلة مستفسرة. فأصدر لها إيماءة غير مفهومة وغير مدركة.

واستغرق منها عدة دقائق أن تتآلف عيناها على ظلمة وقتامة الكوخ، ثم رأت سريراً فى أحد الأركان وعليه يرقد هاجعاً رجل عجوز، وكان القسم والنصف الأدنى من جسمه مغطى ببطانية، أما وجهه فقد أعرض عنهم حينما رآهم.

وكان واضحاً أنه نعسان يغط فى النوم، حيث إنه لم يتحرك. أما شعره الأبيض فقد كان أشعث وبرزت عظامه عبر جلد بشرته الرقيق فى رقة الورق. علمت شارلى أنه حتماً مريض. فالتفتت إلى برادين وهى عابسة مقطبة وتقول:

ــ ما الذى نفعله ههنا؟ هل يفترض أن نساعد ذلك الرجل؟

على الرغم من أن السماء فحسب تعلم النصب والمشقة التى تنتظرهما. لقد كان الرجل يبدو وأنه يحتضر، ويموت موتاً بطيئاً.

أخذ برادين بيدها وقادها إلى الفراش يقربها أكثر فأكثر، وقال:

ــ إنه أبوك.

هتفت شارلى وسرت عبر جسدها رعدة وقشعريرة باردة وقالت:

ــ ما الذى تقوله؟ إنه ليس أبى! يا الهى، لابد وأننى...

وقطع كلماتها الصوت الرفيع المرتعش الصادر عن الرجل الراقد تحتها، وهو يقول:

ــ شارلى؟

اتسعت عيناها حتى أنها ملأت وجهها. إن هذا ليس أباها. ويجب

ألا يكون. أحدقت فى الصورة العجفاء، حينما أدار رأسه رويداً فى بطء نحوهما، وعندها بصوت عبارة عن صرخة كرباء، ألقت بنفسها عليه، وقالت:

ـ أوه. أبى. أبى! أوه يا الهى!

وكانت لا تستطيع التعرف عليه إلا بشق الأنفس. حيث كانت عيناه قد غاصتا فى رأسه، ووجنتاه جوفاء. وبدا وكأنه يتشبث بالحياة بحبل واهى.

لماذا لم يحذرها برادين؟ لماذا سمح لها بالصدمة؟ ضغطت بوجنتيها على وجنتى أبيها، وانسكبت دموعها على وجهه. أما حلقها فقد كان أجشاً جافاً من تأثرها العاطفى، ولم تعد تقدر على الكلام.

ـ كنت ـ أعلم ـ أنك ـ سوف ـ تأتين.

ـ ما الذى حدث؟

سألت أباها فى همسة حائرة. وكان شعره بأكمله أبيض. ولم يكن على هذا النحو حينما ارتحل. لقد كان رمادياً لامعاً لعدة سنوات خلت. كم كان يعانى إذن أبوها!

حرك رأسه فى وهن من جانب إلى جانب، أما عيناه الخافتتان الباهتتان فقد كانتا شغوفتين متلهفتين على شارلى ووجهها. قال:

ـ لقد مرضت ـ بالدوسنتاريا ـ والهنود ـ اعتنوا بى.

كان يجب عليك أن تعود إلينا حينما كنت قادراً على ذلك.

ـ لم يتسير لى ذلك يا شارلى. لم أقدر.

وكان الجهد الذى يتحدث به كبيراً لا يستطيع تحمله. فأغلق عينيه وغاصت رأسه إلى الوراء على البطانية التى كانت ملفوفة لتقوم مقام الوسادة. وظهر وكأنه لا يتنفس. وشعرت شارلى بالفزع والجزع يعتصرها:

صاحت:

ـ برادين؟

وكان بجوارها فى التو واللحظة، وضغطت أصابعه على يد أبيها ليعرف

ويجس النبض. قال فى نعومة:

إنه نائم.

نهضت شارلى وتحركت فى خفة بعيداً عن الفراش وقالت:

ـ لماذا لم تحذرنى؟

هز رأسه، وأردف:

ـ لم أتحقق من أنه هو ذلك الرجل المدنف. وظننت أنها ستكون مفاجأة سارة لطيفة لك.

رفعت يدها إلى ذراعها عند الكوع ونبست:

ـ يا لها من مفاجأة مفجعة. فماذا نحن فاعلان؟ هل ستجدى المضادات الحيوية؟

ـ لدى بعض العقارات الخاصة بمعالجة الدوسنتاريا الأميبية. سوف نعطيها له. وبعدها، باعطائه المزيد من السوائل والراحة، سوف يتحسن حتماً. إن الله وحده هو الذى يعلم ما نوع الجرعات التى ضخها الهنود فى جسمه. حمداً لله أننى أحضرت معى المزيد من أقراص تنقية المياه. وليس أمامنا غير ذلك.

ـ هل تعتقد أنه كان يشرب ماءً ملوثاً مسمماً هو الذى تسبب فى سقمه؟

ـ ليس بالضرورة. ربما كان شيئاً آخر فى غذائه.

همست تقاطعه:

ـ لقد كنت أتأكد بنفسى من الطعام والغذاء عندما كنت أصاحبه.

أمسك بها إليه وقال:

ـ شارلى، لا تلومى نفسك. إن سبب المرض واحد من هذين الأمرين: إما الماء المسمم أو الغذاء. وهذا كثيراً ما يحدث.

قالت تهمس فى نفسها بدون أن تسمعه إن الخلق يلقون حتفهم فى الغابة.

ـ إن أباك لن يموت. وإذا لم يستجب للعلاج، سوف أعود وأحضر

www.elromancia.com

الهليوكوبتر إلى هنا.

ـ ولكن ذلك سوف يستغرق عدة أسابيع.

ـ ربما أقل بكثير. ونحن قد عرفنا مسارات الطريق من قبل، لا تنسى هذا. إن الذهاب سوف يكون أكثر سهولة ويسراً، وباضطلاعي بتلك المهمة بمفردي، سوف أحقق نتيجة طيبة.

نمت شارلى ألا تحكم الظروف بمثل ذلك. ولم تقبل فكرة الوجود بمفردها معها مع هؤلاء الهنود الأشراس. ولكنها لا تستطيع أيضاً أن تترك أباها. نظرت إليه مرة ثانية وأخذ قلبها يتألم. إذ أنه لم يكن أكثر من مجرد هيكل عظمى. انسكبت الدموع الساخنة عبر وجنتيها.

أخذ برادين وجهها فى يديه ومسح الدموع عنها بأنامله. وصاح:

ـ لا بأس عليك يا شارلى، لا تقنطى. سوف نفعل كل ما نستطيع.

ـ إنه مريض للغاية، إنه على وشك الـ....

ـ شش! إنه سوف يكون أفضل، خصوصاً وأنت هنا. وسوف ترين.

وقادها برادين إلى خارج الكوخ، فتألمت عيناها من جراء ضوء الشمس الساطع. جلست على العتبة خارج الكوخ، بينما أخذ هو يفرغ محتويات الحقيبة الطبية من على البغل. أما جورج وكوباسو فقد لمسا كتفها، بمنحانها تعاطفهما الصامت. وكان حشد من الهنود يقفون للفرجة.

تبعت برادين فى العودة والدخول إلى الكهف، حينما أخذ يوقظ أباها فى لطف وسلاسة. كان ثمة تجهم على وجه سبنسر وهو يركز بصره على الرجل الآخر. سأل بهمس فى وهن، ويقول:

ـ شارلى؟

ـ كل شىء على ما يراه يا سبنسر، إنها ههنا.

ـ فمن ـ تكون ـ أنت؟

ابتسم برادين وهو يصرح:

ـ ألا تتذكرنى؟ إننى برادين كويست. لقد تلاقينا فى الإكوادور منذ سنوات قليلة خلت.

ـ أجل ـ إننى ـ تذكرت أوقد ـ أتيت ـ معها ـ للبحث ـ عنى؟

ـ هذا صحيح؟

هذا ـ عطف ـ وطيبة ـ منك.

قال برادين بقوة:

ـ ألا على ذلك العطف كل اللعنة. لقد اقنعتنى إمرأتان جذابتان للغاية ـ هما زوجتك وابنتك.

ـ هل كانتا قلقتين على؟

ـ فى غاية القلق. وإن ابنتك لتلومن نفسها.

حاول سبنسر أن يحرك رأسه لينظر إليها غير أن الجهد أعياه، قال:

ـ شارلى؟

ـ ها أنذا يا أبتاه.

قالت ذلك وهى تتحرك نحوه، ونكبت الدموع التى هددت بالإنسكاب مرة ثانية.

ـ أنا أحبك ـ يا ـ شارلى.

ـ وأنا أحبك أيضاً يا أبى:

ـ لا تثريب، ولا لوم عليك.

صرخت:

ـ بل التثريب واللوم، كل اللوم يقع على. لقد كان يجب على أن أمنعك من المجيء إلى هنا. إن روبيرت بيلينغز ليس له الحق فى أن يملأ رأسك بالحكايات الوهمية والخيالية.

ـ كلا ـ إنها ـ حقيقة. برادين ـ خبرها ـ عن ـ الـ....

تلاشى وبهت صوته حينما صار الجهد أعظم من أن يحتمل، وفقد وعيه. قالت شارلى، وهى تنظر فى أسى وحزن على أبيها:

ـ إنه ليس فى حالته العقلية السليمة. إنه لا يستطيع أن يقول بأنه كان على وشك وحافة اكتشاف المدينة المفقودة. لقد حدث ذلك مرات

www.elromancia.com

متعددة. وعندما نصل إلى هناك، فماذا سوف نجد؟ مدينة. أجل، ولكن تكون قد سبق اكتشافها من قبل. لست أصدق بأنه ثمة أى مدن مخفية متروكة. إن أقواماً كثيرين كانوا يبحثون عنها منذ آماد طويلة.

قال برادين فى لطف:

ـ لست أقول بأنه مستحيل. الاحتمال ضعيف للغاية، هذا صحيح، ولكن ليس محالاً بالمرة. دعينا نخرج وننصب الخيمة. فسألته أيمانع الهنود فى مقامهم.

نظر برادين إلى الكوخ المصنوع من الشجيرات والأعشاب، ذى الأرضية الطينية والباب الواسع، وقال:

ـ أظن أنك تستطيعين المقام مع أبيك فى الكوخ. ولكنه لا يوفر لك الحماية ضد الناموس وخلافه. وسوف تكونين أحسن حالاً فى الخيمة.

وبعد أن نصب الخيمة، دخلا: برادين وشارلى وهجعا يرقدان كل منهما على فراشه، غير أن شارلى استبدت بها المخاوف على أبيها فراح برادين يطمئنها بكلام مهدىء. قالت شارلى:

ـ أنا لا أستطيع مقاومة فكرة أنه قد أزف الوقت وصار متأخراً. كم كنت أتمنى ألا أكون قد بددت كل ذلك الوقت قبل أن أفرر البحث عنه.

ـ لم تكونى تعرفى أنه مريض.

ـ كنت أعرف أنه على خطأ ما.

ـ كلا. لست صائبة. إذ أن كل ما تعرفينه هو أنه اكتشف مدينته المفقودة.

ـ هذا صحيح.

قالت ذلك شارلى معترفة وهى تبتسم ابتسامة ساخرة فى الظلام. وساد الصمت هينة داخل الخيمة، وكلاهما يحاول أن ينام، عند ذاك قال برادين:

ـ شارلى.

ـ نعم؟

ـ هل تعتقدين أن عنافى لك سوف يبدد قلقك؟

أغلقت شارلى عينيها وعلمت أن ذراعى برادين سوف يكونان حقاً راحة وسكينة. همست قائلة:

أعتقد ذلك.

ـ إذن تعالى هنا.

ولذا وثبت من حقيبة نومها إلى حقيبة نومه، وسبب لها جسده الملامس لجسدها بطوليها صعوداً فى المشاعر والأحاسيس التى طواها النسيان منذ الأيام القليلة الماضية.

وفى لحظة، شعرت شارلى بالدوار حينما تذكرت أنه ربما كانت له دوافع خفية، ولكنه حينما شد رأسها بجذبه على كتفه، وراح يتمتم كلمات تبعث على الراحة والهدوء، وهو يعبث بخصلات من شعرها، بدأت تسترخى، وفى خلال دقائق كانت قد استغرقت فى النوم.

وعندما استيقظت كان النهار قد انفلق، وكانت لا تزال ملتصقة به. شعرت بالدفء والاسترخاء، وحينما أخذت تنظر إلى وجهه كان مستيقظاً أيضاً، وابتسم لها. ولكنها حينما حاولت المجاهدة للتخلص من ذراعيه، أحكم قبضته ومسكته عليها.

قالت فى هدوء وحزم:

دعنى أذهب. لابد أن أرى كيف أصبح حال أبى.

ـ دقائق قليلة اضافية لن تؤذى أو تضر. أنا أحب أن تلاصقينى.

وفى قرارة نفسها، كانت شارلى بكل أمانة تحب ملاصقتها له أيضاً. إذ تستطيع أن تستشعر قوة وطول وصلابة ساقيه كلها، ومتانة بدنه، وصدره الخشن بالشعر. ولولا قلقها عن أبيها، تمنت من كل قلبها لو أن هذه اللحظات ونعيمها يدوم لها معاً.

لمس بإصبعه وجهها، يتحسس فمها وشفتيها، ويلمس وجنتيها ورموشها وجفونها، وصار النظر فى عينيه أكثر نعومة عما كان عليه من قبل.

www.elromancia.com

لكن شارلى علمت مدى الجنون فى مكوثها هنا. إن كان كلاهما مفتوناً بجسد الآخر. كم من الوقت كان متيقظاً، لم تعرف، ولكنه كان ذكراً فحلاً، ويا لها من خطورة فى استحواذه عليها فى أحضانه، ولا يفعل شيئاً حتى الآن.

أعجبها منه ضبطه لنفسه وليس رجال كثيرون فى وضعه سوف يعاملونها بمثل ذلك الاحترام. تحركت بلا وعى نحوه، فأصدر أنيناً متأوهاً، وقال بـ أعجب لو علمتى ما الذى تفعلينه بى؟

همست تقول، وهى ترفع وجهها نحوه:

ــ عندى بعض الفكرة.

وكان فمه على فمها عبارة عن عذاب بحت، يرسل تياراً من الأحاسيس عبر سويداء قلبها. وغصباً عنها فتحت شفتيها وسمحت له بأن يعمق ويتمادى فى القبلة، وبعد ثوان من الهذيان، نست كل حرص أو تحفظ.

جذب لأسفل شفتها السفلى وقبل نعومة ومخملية الجلد الداخلى لها. وأجرى أصابعه مباشرة وفى خفه لأسفل عنقها الرشيق الأملس.

برادين.

صاحت شارلى وهى تقوس نفسها نحوه. واعيه بالإثارة التى يبثها فيها، ولكنها كانت خائفة بعض الشىء.

ــ أرجل.

ــ برادين لا تعذبنى هكذا.

ــ فما الذى تريدينه؟

وفتحت فمها فأخذ يقبلها برادين بفمه ويغلقه ثانية، وصار لسانه ملحاً الآن.

وعندما أشاح بفمه بعيداً عنها أخيراً، كان تنفسه حاداً لاهثاً، قال:

ــ أعتقد يا شارلى، أنه من الأفضل أن تنهضى. ولن أكون مسئولاً عن تصرفاتى إذا مكثت مدة أطول.

وكذلك كانت هى. حيث كانت قد فقدت صوابها أصلاً. لقد كانت تريده يستمر ويواصل تقبيله إياها، وأن يضطرد فى ملامسته وإثارته

لها. ولكنها كانت ترى الحكمة وراء كلماته.

قفزت من حقيبة النوم وراح برافيها وهى ترتدى الملابس. وكانت شارلى قد فقدت منذ فترة طويلة المداعبات العاطفية، ولكنها اليوم علمت بأن جسدها العارى يؤثر فيه، وهذا هو ما أعطاها إحساساً إضافياً بالرضاء.

وكانت تلك زمام طية الخيمة حينما شعرت ببرادين وذراعيه يلتفان حول خصرها. لم تسمعه حينما نهض واقفاً وتوجه إليها، الأمر الذى أجفلها وروعها. وجعلها تلتف مستديرة حول نفسها واحتضنها وقال:

ــ أظن وأعتقد أننى سأكون أحمق لو سمحت لك بالذهاب: فأنت امرأة مكتملة الأنوثة يا شارلى. مكتملة تماماً.

وفى اللحظة الثانية، كان يدفعها إلى خارج الخيمة، ونسته وكل شىء يتعلق بالإثارة لما دخلت إلى كوخ أبيها.

ولما لم يتقدم كثيراً سبنسر، ولم تتحسن صحته إلى الحد الذى يمكنه من السفر عبر مشاق الطريق المجهدة، قرر برادين وشارلى أن يعود برادين ليأتى بالطائرة الهليوكوبتر حتى يستطيع أن ينقل سبنسر للعلاج من المستشفيات المتخصصة فى المناطق الحضرية. قال برادين:

ــ حسناً سوف أرحل صباح الغد. واستمرى أنت فى اعطاء أبيك علاجه، وزوديه بالسوائل، وحينما أعود أدراجى سيكون جاهزاً وقادراً على الطيران.

ــ حسناً.

تعالى إلى هنا.

وكانا يجلسان القرفصاء على قمة حقيبتى نومهما، ومنذ تلك الليلة الأولى فى الخيمة بجوار أبيها لم يقبلها مرة ثانية. زحفت شارلى إليه فاحتضنها وقال:

ــ أنت تبدين جميلة رائعة هذه الليلة. أليس كذلك؟

هزت رأسها. فراح يضيف:

www.elromancia.com

ـ من المريح أن تعرفى شيئاً، هو أننى لا أحب النساء المسترجلات.

فابتسمت شارلى. وكان ضوء الصباح يرسل بالشعاع عبر وجهه وبدا شعره الأبيض الأشقر أكثر دكناً. لقد كان يحتاج إلى حلق ذقنه أيضاً لمست ذقنه باصبعها وتساءلت لماذا لم يطلق لحيته وينميها. إن لنا سبته. وأخفت الندبة أيضاً من على وجهه.

ـ أحب نسائى أن يكن ناعمات ولينات. أحب منهن أن يذبن بين ذراعى... أحب منهن أن يرتدين الملابس الجميلة، ويكون لهن الشعر المسترسل الطويل.

وبينما كان يتكلم، أطلق سراح شعرها من عقاله وألقى بالدبابيس بعيداً، حتى تحرر شعرها الحريرى الجميل الكثيف وصار يرفرف على كتفيها. ورشق أصابعه عبر شعرها ودفن أنفه فيه. قال:

ـ إن رائحته جميلة.

ابتسمت وقالت:

ـ مثل عذير الجبل.

إذ أنها كانت قد غسلته تلك الصبيحة بالماء المنساب عبر الجبل بينما كان برادين عند أبيها.

إنه عطر نفاذ، وأريد أن أعبأ زجاجة منه وأعود بها إلى بلادنا، وفى كل مرة اشمه، يذكرنى بك. اتسعت عينا شارلى. هل هذا هو برادين الحقيقى الذى يتكلم الهراء؟ تساءل يقول: ماذا دهاك.

لم أعهد على هذا النحو من قبل أبداً.

التوى فمه فى سخرية وقال:

ـ أنا لست دائماً فتوة.

ومال برأسه يقبل فمها. وأضاف:

ـ فى الواقع، بوسعى أن أكون رومانتيكياً. ولكن ليس هذه الليلة. عندما أمارس معك الحب، فإن الزمان والمكان لابد أن يكونا مضبوطين تماماً.

ـ لست أعرف أنا...

أسكتها بقبلة أخرى، والتفت ذراعاها كالثعبان على نحو غريزى حول مؤخرة عنقه. أجل، إن ذلك هو ما أرادته، كثيراً جداً. غير أن برادين لا يحبها، إذ لم يذكر أبداً كلمة حب واحدة لقد كان يرغب فيها، وهذا كل ما فى الأمر. خلصت نفسها منه متحررة. فابتسم وهو يقول:

ـ طاب مساؤك يا شارلى. اذهبى إلى فراشك الآن. ويتعين أن ألقى شطراً من النوم أيضاً، حيث سوف أشرع فى رحلتى بالغد.

زحفت شارلى إلى حقيبة نومها، وقالت:

كم سوف تستغرق من الزمن؟

وكان جسدها يتوق متألماً لأن يستحوذ عليها.

ـ أسبوعين على الأقل، أتخيل ذلك.

ـ سوف أفتقدك.

ـ وأنا كذلك. لم أشأ أن أحضرك معى يا شارلى، كما تعلمين، ولكننى أعجبت بشجاعتك. وأشك فى أن أقابل أى واحدة مثلك مرة ثانية أبداً.

وعلمت هى أنها لن تقابل أحداً آخر مثل برادين. وإذا خرج من حياتها متى ما أعادا أباها إلى بلاده، إذن سوف تبقى هى وحيدة إلى الأبد. إن لن يكون ثمة رجل آخر يماثله. وبصرف النظر عما قالته لنفسها، كانت تحب برادين، وهى دائماً سوف تحبه.

الفصل السابع

الهليكوبتر المنقذة

مرت الأيام من بعد مغادرة برادين للمعسكر الهندى. وأنفقت شارلى معظم وقتها مع أبيها، تخادنه، تطعمه، وتغسله. ولم يبدو فى تقدم أو يقوى وأصبحت منزعجة فى أعماقها. لقد تمدد جلده باحكام على هيكله العظمى. وحتى الجهد فى الجلوس كان كبيراً عليه. وبدأت شارلى تتشكك عما إذا كان سيصح صحيحاً بما فيه الكفاية لاحتمال الرحلة الطويلة إلى انجلترا.

وهم بطبيعة الحال، سوف يأخذونه إلى إحدى المستشفيات فى لندا. ولكنها علمت أن أباها يفضل العودة إلى الوطن. وهى تفضل ذلك أيضاً. وكان ثمة شىء يربطها حيثما تكون فى وطنها الخاص.

وكانت الليالى هى أسوأ ما فى حياتها. إذا كانت تبيت مستيقظة فى الخيمة تتمنى من برادين أن يكون معها. وعلى الرغم من أن الهنود لم يكونوا معادين، إلا أنهم لم يكونوا ودودين أيضاً. وكانوا ينظرون إليها من بعد. وكان الأطفال فحسب هم الذين يقتربون منها. أما جورج وكوياسو فقد كانا يتوسطان بينها وبينهم فقط. وعلمت بأنها ما كانت لتستطيع أن تفعل شيئاً بدونها.

تكلم أبوها عن المدينة المفقودة. قال:

ــ إنه لما يكر قلبى أن أعلم أننى كنت على وشك اكتشافها.

ــ ألا زلت تصدق رواية روبيرت بيللنغز؟

وكان محالاً ابزالة الشك والريبة من صوتها.

ــ بطبيعة الحال. ولسوف أعود أدراجى. لقد كنت أحلم طيلة

حياتى أن أكتشف المدينة المفقودة فى بلاد وحضارة أهل «الانكاس». ولا أستطيع أن أتخلى عن ذلك الآن.

سوف أصاحبك فى المرة القادمة.

قالت ذلك فى نعومة. ولم تذكره بأنه منذ أيام ضئيلة خلت، قال إنه ربما لن يعيش.

وضع يده على يدها وقال:

ــ أنا أحبك يا شارلى.

وكانت العروق الزرقاء بارزة على ظهر يده، أما جلده فكاد أن يكون شفافاً. أمسكت به شارلى وشعرت بأنها كما لو كانت تبكى. لقد كان أبوها دائماً قوياً ونشيطاً، رجل لاتق جداً بالنسبة لسنه، ولم تطق أن تراه على هذا النحو.

وفى كل يوم كانت ترتقب عودة برادين، وفى كل ليلة كانت تذهب إلى الفراش وتصلى. ومضت ستة عشر يوماً قبل أن تسمع نبض طائرة هيلوكبتر مميز لاتخطئه الأذن. وكان جورج وكوياسو قد حذرا الهنود وأن بتوقعاً وصول طائرة، وساعد فى تنظيف مساحة فضاء حيث تهبط طائرة برادين.

هرعت شارلى نحوها، وبمجرد أن هبط منها برادين التفت حوله تعانقه. ولم تراع ماذا يعتقد فيها. لقد كانا أطول أسبوعين فى حياتها.

وكانت ذراعاه مريحين حولها. وشعرت كما لو كانت تنتمى إليه، وأن هذا هو مكانها المناسب الصحيح. وكانت فكرة مضحكة، غير أنها لاتستطيع أن تقاوم.

وأخيراً اعتقها على مسافة ذراع منه، وسألها يقول:

ــ كيف حال أبيك؟

وكان وجهه فزعاً وجزعاً.

ــ لقد تحسن قليلاً، ولكن لايزال مجهداً. أننى خائفة.

سرعان ماننقله إلى الأيدى الصحيحة لعلاجه. هذا دكتور «لاغو».

لقد أتى معى ليفحص أباك قبل أن ننقله.

لم تلاحظ شارلى الرجل الآخر. والآن التفتت ورأت رجلاً صغيراً ذا بشرة داكنة، يرتدى نظارة ذات إطارات ذهبية، ورأس صلعاء لامعه. مدت يدها لتصافحه وقالت:

ــ أشكرك على مجيئك. وانى لجد ممتنة ومعترفة بالجميل.

قال:

ــ دعينى أنظر أبيك.

ثم سرعان ماحملا امتعتهم على الطائرة، وحملوا سبنسر إلى المقعد الخلفى منها، وودع برادين الصبيين الهنديين وأعطاهما عدداً من قصانه كهدايا لهما. أما دكتور «لاغو» فقد انحنى بسبنسر، بينما جلس برادين وشارلى يتجاذبان أطراف الحديث. وفى مدينة «كوزاكو» بدلوا الطائرة، وركبوا طائرة أخرى كانت تنتظرهم. وأما سبنسر فقد غاب عن الوعى وعاد إلى الوعى عدة مرات وهو بالطائرة. وكان من الواضح العيان أنه لن يحتمل الطيران لمدة خمسة عشر ساعة أو ماينا هز ذلك فى الجو.

وما أنت استقر فى المستشفى اتصلت شارلى بأمها هاتفياً، فانهارت تصرخ وتبكى، ثم قالت بأنها سوف تكون معه بأسرع مايمكن من الوقت.

قال برادين:

ــ والآن. إلى المنزل، والاستمتاع بحمام كنت أتوق إليه منذ زمن طويل.

شعرت شارلى بالأسى والحزن. إذ على الرغم من كل شىء، لقد تنامى حبها لهذا الرجل الرث أحياناً، الرائع أحياناً أخرى. وسوف تفتقده، سوف تفتقده كثيراً. قالت فى ابتسامة حزينة.

ــ أقدر كل مافعلته يابرادين. ولست أعلم كيف أرد لك الجميل مدى الحياة.

قال:

ــ عندى أفكار قليلة بشأن ذلك، ولكننا لن نناقشها هنا والآن. هيا

هلم إن كارلوس ينتظرنا.

تجهمت شارلى. لقد كانت تفترض أن هذا نهاية الطريق بمجرد أن انتهت مهمة برادين. صاحت:

ــ إلى أين سوف تأخذنى.

ــ إلى البيت بطبيعة الحال.

قالت وهى تتجاهل النبض المتسارع المفاجىء فى دقات قلبها:

ــ لقد انتهت مهمتك. ولسوف أحجز لنفسى فى أحد الفنادق.

ارتفعت حواجب برادين كثيفة الشعر وصرخ:

ــ ياشارلى، إن لدى ثلاثة أو أربعة غرف خالية، فما حجتك إذن؟

والتقط حقيبتها «جراب السفر» الخاص بها وبدأ يمضى فى طريقه.

والتفت تقول من وراء كتفه:

ــ أما أمك فبوسعها المقام فى بيتى أيضاً.

ولم يعد من سبيل أمام شارلى سوى أن تتبعه.

وكان رضاء من السماء أن تغطس فى حمام ساخن وتغسل شعرها فى الماء الدافىء القادم مباشرة من الصنبور. إن هذه رفاهية لايشعر بقيمتها العالم المتحضر. ولكم كانت تفتقد إلى هذه المفاخر.

جففت شعر رأسها بالمنشفة وارتدت انظف قميص لديها وأنظف بنطلون، حينما دخل عليها برادين. لقد أمضيا وقتاً طويلاً يعيشان معاً، ولم يرد على خاطر شارلى أن تخبره بأن يخرج وألا يقتحم خلوتها وينتظل عليها. ارتدى بنطلونا شاحباً وقميصاً أبيض، وبدأ أنيقاً. غير متأثر بالإجهاد، ولو أقل القليل من النصب، ونما شعره فى الأسابيع التى كانوا فيها يضربون فى بطون الغابات، وصار جميلاً ملائماً له.

وعلى النقيض، شعرت شارلى بأنها منهكة القوى مستنزفة العزيمة قالت تتساءل، وهى تنظر إلى بنطلونها الملطخ بالأوساخ:

ــ هل يمكننى القيام بغسيل ملابسى؟ إن أمى بصدد إحضار بعض الأشياء، ولكننى لا أستطيع المقام على هذه الحال من الملابس الرثة ربما

تأتى أمى.

قال رافضاً:

إن مديرة المنزل الخاص بى سوف تنهض بذلك. ولكنك تعلمين بأننى أفضلك فى حالة من الأنوثة وقت أن ترتدى شيئاً من الملابس الرقيقة. وأظن أنه بمقدورى أن أحضر لك فستاناً أو فستانين كى ترتديهما.

تجهمت شارلى وصاحت:

ـ بطبيعة الحال. كل رجل يحتفظ بدولاب من ملابس النساء تنفع عند الضرورة.

ـ فى الواقع، تلك الملابس تخص إحدى الصديقات. وهى لا تمانع فى أن تقترضى وتستعيرى منها ما تشائين. وإنى لعلى يقين من ذلك.

إحدى الصديقات، تلك التى خلفت ملابسها ههنا؟ شعرت شارلى بوميض من الغيرة تلك التى أخمدتها من فورها. حيث إن حياة برادين الشخصية لا علاقة لها بها. ولكن، بالنسبة لارتداء ملابس هذه الفتاة المجهولة، فهذه قصة أخرى.

ـ أشكرك على هذا العرض. ولكن لست بحاجة إليها. وسوف أتصرف.

ـ إذا كنت بصدد العمل من أجلى، ولست أريدك أن تظهرى هكذا.

اتسعت عينا شارلى من الدهشة، وقالت:

ـ العمل من أجلك؟ ما الذى تتحدث عنه؟

ـ بعض الجزاء والتعويض عن وقتى وجهدى.

وكان ثمة براءة وسذاجة على وجهه تثير الارتياب فجأة. إذن هذا هو سبب مساعدته إياها. ولم يكن بسبب عطف وطيبة قلبه. وكان قد قال إنه لا يريد دفع مال إليه! قالت فى عجرفة وهى تهز رأسها هزة استكبار:

ـ ولكننى أعتزم قضاء معظم الوقت على قدر الإمكان مع أبى. إنى لآسفة.

ـ إن أباك سوف يضجر سريعاً وبسهولة. ولن يكون قوياً بما فيه الكفاية للقيام بالزيارات الطويلة. وأمك سوف تكون هنا حالاً، وبناء عليه ليس أمامك أى عذر.

استغرقت شارلى فى التحدى الفضى النابع من عيونه وقالت تتساءل فى برود:

ـ أى نوع من العمل. ليس لدى مؤهلات خاصة.

ابتسم وقال:

ـ إنى لعلى يقين من ذلك. ولسنا بحاجة إليها. وهو نوع من العمل سوف يمتعك كثيراً، وبناء عليه أنت لست بحاجة إلى أن تقلقى وتنزعجى بشأن ذلك.

لمعت عيناها وهى تقول:

ـ أوه، أجل.

ـ لقد تلقيت انطباعاً بأنك حزينة على الفراق. وحسبت أنك ربما ترحبين بفرصة قضاء القليل من الوقت معى. هل كنت على خطأ؟

شعرت شارلى بالحرارة المباغتة تسرى فى جسدها. كذبت وهى تقول بصوت عال:

ـ خطأ جسيم، وإنى لأقدر ما فعلت، ولكن حقاً، الطريقة التى تعاملنى بها عندما كنا نبحث عن أبى، تجعلنى بحاجة إلى التفكير فى ما سوف أقدم عليه.

تحركت إحدى عضلات فكه، وتحولت المسرة والسخرية الضاحكة إلى تلاشى. قال:

ـ لقد فعلت ما كان يجب على أن أفعله. ولو كنت قدمت تنازلات بسبب جنسك لكان الوقت متأخراً بما فيه الكفاية لانقاذ أبيك.

ونكست رأسها شارلى لقد كان على حق كالمعتاد. إن أباها كان على وشك الموت. وكان يبدو غير قادر بالمرة على احتمال مشاق الرحلة. ولكن على الأقل صار الآن فى أيدى ماهرة. وما كان ليحيا أو يعيش

هناك فى الغابة، حتى ولو تضاعفت عنايتها.

قالت شارلى والحنق لا يزال يرفرف بجناحيه على عواطفها:

ـ لقد عاملتنى معاملة فى منتهى القسوة، وكان بامكانك أن تعاملنى معاملة أكثر رقة من تلك المعاملة الخشنة الفظة التى إن دلت على شىء فإنها تدل على قسوة قلبك وتحجر مشاعرك.

قال برادين:

ـ عندما أكون فى بعثة استكشافية أتصرف على هذا النحو دائماً غصباً عن رغبتى وهى طبيعة ورثتها عن أبائى من قبل. ومعاملة تلك التى لا تعنى حبى وتقديرى لك. فقد أثبتى أنك مستكشفة قديرة.

ـ حسناً يا برادين فلننس الموضوع.

حينذاك استقرت عيناه ذات البريق الفضى اللامع على وجهها، وقال:

ـ سوف أفتقدك هذه الليلة يا شارلى لقد اعتدت عليك كثيراً أثناء الرحلة، ومشاركتك إياى فى الخيمة.

صارت نبرة صوت شارلى حادة على غصب منها، وهى تحاول أقصى جهدها أن تتجاهل الإثارة التى سببتها تلك الفكرة. قالت:

آمل أن ذلك ليس بمثابة تلميح فى أنك تحب منى مشاركتك فى فراشك؟ فلو كان هذا وراء اقتراحك، إذن عليك أن تتناسى كل شىء. ولسوف أحجز لنفسى فى أحد الفنادق.

وأرجعت مصعدها إلى الخلف ونهضت واقفة، وأردفت:

ليس من سبيل أمامك فى أن تلامسنى مرة ثانية.

أإنك لكثيرة الاحتجاج والتبرم يا شارلى.

قال ذلك وهو يسيطر على الغضب والثورة التى رأتها هى فى عينيه.

وأردف يقول:

ـ ولكننى أعتقد فى الواقع بأننا كلانا قد لاقينا نصباً وضنى، ونستحق أن نرفه عن أنفسنا فى ليلة سعيدة.

ووضع ذراعه ملتفاً على كتفيها بينما كانا يشقان طريقهما أعلى الدرج، وعلى الرغم من أن لمسته كان طفيفة للغاية، إلا أنها شعرت بأنها كالمكواة على بدنها.

وسرعان ما أوصلها إلى باب غرفتها، ولكنه على غير ما توقعت ورغبت هى، قال لها:

ـ طاب مساؤك يا شارلى وتصبحين على خير.

فردت هى تقول:

ـ وطاب مساؤك أيضاً يا برادين، وتصبح على خير.

وفى صباح اليوم التالى، عند الضحى، أخذها إلى مكان ما، وفتح أحد الأبواب، وإذا شارلى تجد نفسها أمام حوض للسباحة. فاتسعت عيناها وهى تقول:

ـ رائع. لم يكن لدى فكرة عن ذلك. لقد حسبت أن تلك غرفة الطعام.

ـ إن حوض السباحة يمثل ضرورة فى ليما. حيث إن بيرو دولة المتناقضات، كما تعلمين، وبفضل تيار هامبولدت فإن المحيط بارد فى تلك النقطة فى معظم الأوقات. ومعظم الأهالى الأصليين يرتدون الملابس الثقيلة وعلى أية حال أفضل أن آخذ شطراً من السباحة قبل تناول طعام الإفطار. وطالما أن هذا الصباح صباح لطيف، فلست بحاجة إلى ذلك السقف المعرش لحوض السباحة.

ثم ضغط على أحد الأزرار وإذا بالسقف الزجاجى اللامع يطوى ويعرض الحوض لضوء النهار. انبهرت شارلى. وفيما عدا شهور الصيف الأربعة من ديسمبر إلى ابريل، كانت ليما غالباً يلفها ضباب كثيف ثقيل كالبطانية. يالها من فكرة طيبة. لقد وفرت له مزايا الصيف والشتاء. بدأ يخلع قميصه ويقول:

لقد افتقدتك بالأمس، فهل تنضمين إلى فى السباحة؟

هزت رأسها بالرفض، وكان الآن برادين لا يرتدى سوى المايوه،

فأشاحت هى بوجهها بعيدا، ولكنها لما سمعت ارتطام جسده بالماء وقت أن غطس فى الماء نظرت ورأت جسده العارى بطوله.

كان ينبغى عليها ألا تشعر بالخجل، فقد خلعت ملابسها وتجردت منها أمامه فى الخيمة أكثر من مرة، ولكن الأمور تختلف الآن ههنا. إنها الحضارة، والقوم المتحضرون لا يعرضون أجسادهم العارية أمام القوم والخلق.

وصل فى سباحته حتى أقصى الحوض، ثم ضرب بقدميه الطرف الآخر بالغطس فعاد وراح يسبح متوجهاً إليها. كان جسده ممشوقاً بديعاً، وقوياً، ولم تستطع أن تبعد عينيها عنه. قال برادين:

ــ أنا أنتظرك، ماذا دهاك، ألا تستطيعين العوم؟

ــ بالطبع أستطيع العوم.

ــ هل أنت خائفة من أننى سوف أراك عارية؟

ــ كلا.

ــ هل السبب هو اقترب موعد الغذاء، ولم تفطرى بعد.

قالت تحتج:

ــ كلا! أنا لا أريد فحسب.

ــ كاذبة وإنى لأعلم ما هو السبب. أنت تخشين أن أراك مجردة من ملابسك. وإذا كانت لديك حلة للسباحة، فما كنت لتترددى. أليس هذا صحيحاً؟ ثمة مايو بكينى خاص بـ«استيفا» فى مكان ما، خذيه وارتديه.

ــ ما كنت لأرتدى ملابس تخصها، مهما كانت الأمور. وما كنت لأرتدى حتى هذا الفستان، لو كان لدى اختيار. لقد كان شيئاً منيراً للسخرية والضحك. سوف أرتقى الدرج متوجهة إلى غرفتى. باستطاعتك أن تتصل بى حينما يكون طعام الغذاء جاهزاً.

استدارت ولم تعلم بأنه قد خرج من حوض السباحة. حتى شعرت

بذراعيه يلتفان حولها، قالت تصرخ:

ــ برادين، دعنى وشأنى. كيف تجرؤ على أن...

وفى اللحظة الثانية، وجدت شارلى نفسها تطير فى الهواء هابطة فى حوض السباحة، وارتطمت بصفحة الماء مصدرة صوتاً هائلاً.

وعندما طفت على السطح، أزاحت شعرها عن وجهها ونظرت حولها تبحث عن برادين وقد استبد بها الغضب. وكان يطىء الماء بجوارها، وكانت ثمة ابتسامة شيطانية تحوم حول وجهه، قال:

ــ حقاً يا شارلى، يجب عليك أن تعلمى منذ الآن فصاعداً، أننى لا أقبل أبداً كلمة «لا» رداً على طلباتى.

قالت فى صوت أجش بوحشية:

ــ لو كنت أنتظرت، لعدت مرتدية المايو الخاص بى.

قال برادين:

ــ أنا متأكد من أنك سوف تحاولين، ولكن لا تتركنى كثيراً على اعتقادك بأنك سوف تنجحين فى الذهاب. دعينا نتسابق فى الماء.

وانطلق يبحر ويسبح، غير أن الفستان أعاق تحركات شارلى وفى النهاية تخلصت من الفستان. وكان ينتظرها عند الحافة الأخرى للحوض. قال:

ــ أنت بديعة الجمال عندما تكونين غاضبة.

وشبك ساقه حول ساقها، وبعد ذاك ذراعيه، فوجدت شارلى نفسها أسيرة فى أحضانه. وكان محالاً أن تتجاهل الأحاسيس التى أثارها ببدنه القاسى القوى، المنعش، وفى قرارة نفسها كانت صادقة فى عزوفها عنه.

إذ تدبرت الأمر فوجدت أنه لما تستقر أمور أبيها، سيكون فى ذلك نهاية علاقتها. ووطنت نفسها على تلك الحقيقة. وكانت تلك ميزة إضافية. وبدلاً من مقاتلته، كان ينبغى عليها أن تأخذ ما تكرم بمنحها إياه، وتختزنه بعناية فى عقلها، حتى يمكنها استعادته واجتراره كلما استشعرت الحاجة إليه لما تعود إلى الوطن فى انجلترا.

www.elromancia.com

عرف فمه طريقه إلى فمها فاستجابت بدون وعى أو تفكير. لقد كان قدراً قاسياً هو ذلك الذى جعلها تقع فى الحب مع رجل لا رغبة دائمة له فيها.

واستمرت قبلته واضطردت وقوست شارلى نفسها أكثر وأكثر لتقترب من برادين. وكان النبض المتوحش لقلبها يهدد بأن يصم آذانها. فهل هو يشعر به عبر صدره؟ لقد كانت واعية مدركة لدقات قلبه التى تسرع فى الدق عما هو معتاد، ولكن ذلك لم يعن أن مشاعره تعمقت أكثر فأكثر عن الرغبات البسيطة. أن الرجال بمقدورهم الانخراط فى علاقات الغرام بدون التورط بعواطفهم فى الحب. وهذا كان يمثل شيئاً لم تستطع هى أن تعقله. أن تحتاج وترغب فى رجل ما معناه أنها تعشقه حباً أيضاً.

وعلى حين غرة، أقلع برادين من ذلك الجانب، آخذاً معه شارلى، وجعلا يسبحان ويغطسان كالسمكة، وكان جسداهما متلاصقين كالتوأم، وثغراهما متفاعلين يتبادلان الأحاسيس، فيما عدا الأوقات التى احتاجا فيها إلى التنفس.

كانت خبرة مبهجة ومنعشة. وراحت شارلى تتساءل فى تعجب ما المدى الذى سوف تصل إليه فى استمراريتها إذا لم يقاطعها أحد.

ـ إننى لأكره أن أزعجكما، غير أن «خواتينا» تشكو من فساد طعام الغذاء، بتركه دون تناوله.

نظرت شارلى ورأت رجلاً وسيماً داكن اللون والبشرة يبتسم إليها من أعلى الحوض. وكان يرتدى بنطلوناً رمادياً شاحباً، وقميصاً مشمراً عن الأكمام ذا لون أصفر، وهو الذى لم يخف شيئاً من قوته البدنية.

ـ «رامون»، يا أيها الوغد القديم، إننى لم أتوقع أن أراك اليوم.

ـ واضح.

جاءت ابتسامة ساخرة ترد على كلام برادين.

جاهدت شارلى فى أن تحرر نفسها، وقد شعرت بالارتباك فى أن يضبطها أحد على هذا النحو، غير أن برادين كانت لديه خطط أخرى.

إذا أحكمت ذراعاه قبضتها عليها. قال:

ـ يا رامون، أقدم لك شارلى بلبك، الفتاة التى أخبرتك عنها. شارلى، أقدم لك رامون الفوردو، شريكى الفنى، وهو مصمم غلاف الكتاب الذى أولفه عن حضارة أهل ويلاد «الانكامر».

ـ أنت لم تذكر لى أنها رائعة الجمال وبهية. هللو شارلى أرى ذلك المكان صار بقعة أكثر ظرفاً ولطفاً على حين غرة، حيث أقوم بعملى على نحو أفضل.

لا تأخذ فكرة خاطئة.

قال ذلك برادين يحذر رامون وبدا كما لو كان يغار عليها من رفيقه، على الرغم من أن شارلى علمت بأن ذلك ليس صحيحاً.

ـ هللو رامون، لا تكونن كريماً جداً مع إغراقى بمجاملاتك. إذ أننى بمجرد أن أضع يدى على أوراقك، بمساعدتى فى اخراج كتابه، حتى تجد أننى لست شيئاً مما ذكرت.

ـ بالنسبة لك، سوف أغفر وأسامح أى شىء. قالت شارلى وهى تضحك:

ـ أعدك بأننى لست جهولة، حينما يتعلق الأمر بالعمل الفنى. أنا لدى فكرة قديمة عن الفنون التعبيرية.

ابتسم رامون وهو يقول:

ـ هذا تواضع منك.

ثم افترقوا، إذ انصرف رامون، بينما مضت هى وبرادين إلى حيث الطعام.

الفصل الثامن

التلهف المتعطش

عندما وصلت شارلى إلى المستشفى أدهشها وجود أمها هنالك جالسة بجوار أبيها. وكان يغط فى نوم عميق، وظهر الإجهاد بادياً على وجه «ايزابيل»، ولكنها مع ذلك ابتسمت ابتسامة دافئة لما رأت ابنتها. قالت شارلى وهى تحتضن أمها وتعانقها وتقبلها:

ـ لم أتوقع أبداً أن أراك هنا بهذه السرعة.

ـ لقد تمكنت من أخذ طائرة مباشرة من لندن إلى نيما. وعانيت كثيراً فى السفر. ولم أعتقد أبداً أنك سوف تعثرين على أبيك حياً. وقد كنت خائفة لدرجة كبيرة، بعدما أخبرتينى بمدى خطورة مرضه، وظننت أن الوقت سيكون متأخراً جداً عندما أصل إلى هنا.

قالت شارلى وهى تعترف بنفس المشاعر لديها وعيناها مغرورقتان بالدموع:

ـ فى وقت من الأوقات لم أحسب أنه سوف يعيش. ولم أتعرف عليه حتى عندما وجدناه. أوه. يا إلهى. لقد كان أمراً مريعاً.

قالت أمها بحزم:

ـ لقد خاطبت الدكتور «لاغو»، وهو على يقين تام من أن أباك سوف يشفى. وسوف يتطلب الأمر وقتاً طويلاً، وعملاً متأنياً، حيث إنه مريض بدرجة أكبر خطورة عما كان يعتقد الطبيب أصلاً، غير أنه قال لى بألا أفقد الأمل.

اجتذبت شارلى كرسياً آخر وجلست عليه، وراح كلاهما ينظران إلى الرجل المنكمش الذى يرقد بلا حراك تحت الملاءات. قالت شارلى:

ـ سوف يبرأ من سقمه: ولديه إرادة حديدية. لقد كان يتكلم حتى عن العودة مرة ثانية. وهو يعتقد أنه كان على وشك أن يعثر على مدينته المفقودة فى حضارة بلاد «الانكاس».

قالت ايزابيل وهى تمسك بيد سبنسر فى حزن:

ـ لقد كان حلم عمره أن يكتشفها. وإن كان هذا هو ما قاله أبوك، إذن هو سوف يفعله بلا ريب. ولكننى لن أدعه يرحل بمفرده مرة ثانية أبداً.

وقالت شارلى فى الحال:

ـ ولا أنا أيضاً. سوف أذهب معه. ولا داعى لأن تقلقى بشأن ذلك.

ـ أنت فتاة طيبة، ولكنه يحتاج إلى رجل آخر فى هذه المرحلة من حياته. «الآن». ربما يصاحبه، على الرغم من أنه يتحدث عن استعداده للزواج، وخطيبته «چولى» ليست شغوفة بفكرة تركه لها لمدة أسابيع فى المرة الواحدة. والآن، إذا ذهب برادين معه، سوف تتبدد مخاوفى.

قالت شارلى:

ـ يعتقد برادين أن هذه محاولة يائسة غير ذات فائدة، وهى نفس رأيى أنا. وهو لا يعتقد حتى فى وجود تلك المدينة المفقودة.

أقطبت ايزابيل بليك فى تأثره بالملاحظة التى أبدتها شارلى فى صوت أجش ثم صاحت تقول:

ـ ثمة شىء يخبرنى بأنكما الاثنان لستما على ما يرام فى صداقتكما؟

ـ فى أحيان كنا نتفق، وفى أحيان أخرى كنا نختلف. لقد كان ضرورياً أن تعرفى الطريقة والأسلوب الذى عاملنى به. وأنا على يقين من أنه يؤمن بأننى أستطيع القيام بكافة الأعمال الشاقة التى يضطلع بها الرجال وحدهم. لوت أمها شفتيها وقالت:

ـ لقد كنت تتعجلين، ولا تدخرين وسعاً فى ايهامه بأنك خبيرة محنكة.

www.elromancia.com

قالت شارلى صحيح:

ـ حتى ولو كان ذلك صحيحاً، كان يتعين عليه أن يقدم بعض التنازلات.

ـ من خلال ما رأيت من طبيعة برادين، علمت بأنه ليس من ذلك النوع من الناس.

قالت شارلى فى عاصفة من الكلام:

ـ فلماذا إذن تأخذين جانبه وتدافعين عنه. هل علمتى بأنه منعنى من المجيء لرؤية وزيارة أبى هذه الظهيرة؟ لقد كنت نائمة فى هذا الصباح، حينما جاء يزورنى، ولما كنت...

أقطبت أمها وقالت:

ـ مهلاً يا ابنتى أنت تتجاوزين فما علاقة ذلك ببرادين؟ لقد أنجز الوظيفة التى أوكلناها إليه، فماذا بعد ذلك..

ـ لقد أصر على اقامتى أنا وأنت ههنا معه فى بيته على الرغم من أن أبى لا يزال فى المستشفى.

قالت إيزابيل من فورها:

ـ أوه، يا له من كرم وعطف منه.

زمجرت شارلى تقول:

ـ ألا على هذا الكرم اللعنة. هل علمتى: إن هناك شرطاً وضعه من أجل ذلك.

وهو أن أعمل من أجله.

تساءلت المرأة الكبرى فى دهشة وقالت:

ـ تفعلين ماذا؟

رفعت شارلى كتفيها وقالت:

ـ فرز بعض من الأوراق له من أجل كتابه الجديد.

ـ إن هذا عمل شيق يا حبيبتى.

ـ ولكننى لا أحب أن أفعله، لست أريد العمل من أجله، لما أننى

لا أحب حتى المقام معه.

ـ إذن لماذا وافقت؟

ـ لأنه لم يخبرنى بين الأمور. إنه ذلك النوع المتزمت من الرجل يا أماه.

ـ إنه يعاملنى بمنتهى اللطف والعطف. لقد عثر على أبيك، والآن يدعونا من أجل الإقامة عنده. وأقل واجب إزاءه هو أن تساعديه وتعاونيه. فما نوع ذلك الكتاب الذى يصنفه؟

عن حضارة بلاد أهل «الإنكاس».

هذا مجال تخصصك واهتمامك، يا حبيبتى، فى صميم دراستك، وأننى لأومن بأنها فكرة رائعة.

فى تلك اللحظة، همس سبنسر وعيناه مغرورقتان ويصيح فى صوت خافت:

اقتربى إيزابيل، واقتربى منى يا ابنتى الشجاعة أنت أيضاً. كيف حالكما أنتما الأثنتان لقد أخبرنى برادين بأنكما عانيتا كثيراً.

ـ كلا يا أبى، لا تبتئس، إن ما أضجرنى هو برادين حينما تركنى وجاء إليك بدونه، فى حين أنه كان يجب عليه أن يوقظنى من النوم.

قال أبوها فى النو:

ـ كلا. لقد فعل الشيء السليم والصحيح. إنه رجل فى غاية الشهامة. وسأمضى حياتى مديناً له بانقاذى من الهلاك.

سوف تساعده شارلى فى تصنيف وكتابة كتابه الجديد.

قالت ذلك أمها وهى يخامرها الشعور بالافتخار والزهو.

اتسعت عينا سبنسر اعجاباً. ولكن شارلى قالت وهى تضحك:

ـ ليس الكتابة يا أماه، وإنما سأساعدة فى التصنيف والفرز فحسب. إذ أنه فى حاجة إلى فرز أوراقه البحثية. وأعتقد بأنه سيكون شائقاً.

ردد أبوها كلمة «أعتقد» وقال:

ليس هناك ما هو «أعتقد» فى ذلك الموضوع. أنت سوف

www.elromancia.com

تستمتعين به كلية، وأنت تعرفين بأنك سوف تجدى ذلك الشعور. إنها فرصة رائعة. وتستحق المكابدة من أجلها. ومن يعلم إلى أين سوف تؤدى بك إليه؟ ربما أعطائه ومنحك وظيفة دائمة:

ـ سوف أنبذها.

تجهم سبنسر وقال:

ولماذا تنبذينها؟

ـ لأننى، ببساطة، لا أتفق معه فى كثير من الأشياء، ولا أستطيع التفاهم معه.

قال أبوها:

ـ لا أفهم.

ـ الأمر بسيط وواضح إنه يكره النساء اللائى يتصرفن كالرجال. وأفضى إلى بذلك الشعور منذ اللحظة التى شرعنا فيه فى الرحيل لكى نبحث عنك إننى أبغض ذلك الرجل وأمقته.

قالت أمها:

ـ إذا كنت تكرهينه بذلك القدر، لما أقمت فى بيته. أنت عاقلة يا شارلى، ولابد أنك كنت تريدين ذلك.

أطالت شارلى النظر فى عينى أمها وقالت:

ـ حسناً، ربما كنت أريد ذلك. ولكن الذى يجتذبنى ذلك العمل الذى أوكله إلى، وليس من شىء آخر.

بالطبع يا حبيبتى.

ثم أضافت ايزابيل تقول:

ـ سوف أكون ههنا فى الصباح الباكر.

ثم ركبا السيارة، حيث أوصلها بها كارلوس إلى بيت برادين فى مدينة بارانكو، واتسعت عينا ايزابيل بلبك حينما اقتربوا من المقر.

ولما دخلا استقبلها برادين خير استقبال، ولاقاهما فى بشاشة وترحيب. ولما وجد أن ايزابيل قد أحضرت معها حقيبة ملابس شارلى قال:

ـ إن شارلى سوف تجن لما تبدأ فى ارتداء ملابسها الخاصة. يا مدام بلبك، حيث إنها كانت تعانى الأمرين من أجل تقصان ملابسها المناسبة لها.

قالت أمها:

ـ إن ذلك فستان رائع ولم يسبق لك أن ارتديتى ذلك الطراز، يا عزيزتى، وينبغى عليك أن ترتدى فساتين من ذلك النوع كلما أمكنك طوال الوقت.

صاح برادين، وهو ينظر إلى تقاطيع جسم شارلى ومفاتن جسدها:

أهنئك يا شارلى على فستانك الجميل.

رمقته شارلى بنظرة راشقة، لقد كان الفستان سيئاً تماماً مثل أى فستان تكرهه صاحبته. قالت ايزابيل بلبك تخاطب ابنتها:

ـ هل هو جديد، يا حبيبتى:

فالت شارلى ترد فى حدة لاذعة:

ـ إنه مستعار يا أماه. وهو يخص واحدة من عشيقات برادين:

ارتفعت حواجبه الكثيفة وقال برادين:

ـ دعينى أصحح ما قلته يا شارلى، إن «استيفا» مجرد صديقة.

ـ صديقة وتترك ملابسها فى منزلك؟ همم! يالها من صديقة بريئة.

صاحت ايزابيل بلبك وعيناها تتسعان:

ـ شارلى! تلك وقاحة منك.

قال برادين:

ـ لا تنزعجى من تصرفات ابنتك يا ايزابيل. حيث هى وأنا نفهم كل منا الآخر تماماً. آه «خوانينا»، هذه سنيورة بلبك. هل أعددتى لها غرفة؟

ـ نعم، نعم. تعالى هذا الطريق.

قالت شارلى لأمها:

ـ سوف أذهب كى أفرغ محتويات حقيبتى.

www.elromancia.com

قال برادين فى صوت أجفل شارلى:

ـ وبعد ذلك تعالى حيث سنقضى الليلة معاً.

التفتت تنظر بعينين باردتين وقالت:

لا أعتقد شيئاً من ذلك. وسوف أتوجه للفراش مبكراً هذه الليلة أيضاً.

ـ أريد أن أسامرك وأخاطبك يا شارلى.

قالت شارلى تتساءل فى دهشة:

ـ وعن أى شىء سوف نتسامر ونتخاطب؟

ـ عن البحث الذى أقوم به. أريد منك أن تشرعى فيه كأول شىء فى الصباح، وطالما أننى لن أكون موجوداً ههنا...

قالت:

ـ إن كان من أجل العمل، فلا ضير، واستمرت تمضى فى ارتقاء الدرج، وأحست بأن عينيه يأكلان ظهرها، ولم تستطع مقاومة رغبتها فى النظر إلى الخلف حينا وصلت إلى القمة.

قال يحذرها فى اقتضاب.

ـ لا تدعينى أنتظرك طويلاً.

غيرت شارلى الملابس التى كانت ترتديها، ولبست حلة أنيقة، ثم ذهبت إلى أمها كى تتفقد أحوالها، وبعد ذلك هبطت الدرج ثانية إلى حيث برادين. فوجدته فى حجرة مكتبه. وكانت غرفة كبيرة مزودة بكراسى عميقة وأثاث للمكتب، ولما رآها نهض والشراب فى يده، ينتظرها.

وعبس عندما رأى الملابس التى ترتديها قال:

ـ هل يجب عليك أن ترتدى تلك الملابس؟

قالت فى عجب من أمره:

ـ إنها ملابس مريحه، فما هى إلا ملابس ممارسة الرياضة.

فصاح حانقاً:

ـ ولكنها ملابس لا تليق بالنساء. ما نوع الشراب الذى تفضلينه؟

البراندى أم الاسكوتس أم الخمر؟

ـ البراندى من فضلك.

وسكب قدراً صغيراً فى قاع كاس كريستال جميل وناولها إياه:

ـ اجلسى.

اطاعته ورشفت رشفة من السائل الذهبى. وجلس برادين مسترخياً على الكرسى ذى الذراع ومدد ساقيه الطويلتين، وبدا مستريحاً تماماً وقال:

ـ كيف حال سبنسر هذا المساء؟

ـ يغط فى النوم معظم الوقت. وكان متأثراً للغاية عندما رأى أمى.

أومأ برادين برأسه يقول:

ـ لقد قال لى هذا الصباح بأنه يحتاج إليها، وأننى سعيد بمجيئها لأنك الآن ليس لديك عذر فى الإبتعاد عنى.

ـ إننى أحب ذلك.

ـ ولكنك سوف تنفقين كل النهار وكل يوم فى المستشفى إذا سمحت لك بذلك.

ـ بطبيعة الحال، سوف أفعل. إنه أبى وأنا أحبه.

ـ هذا أمر مفروغ منه. ولكن لدى عمل أريد أن أقوم به، وفى الحال.

نظرت إليه شارلى فى شغف وقالت:

ـ ممن كان مقرراً أن ينهض بعملية التصنيف مالم أكن أنا موجودة؟ هل هى استيفا؟

ـ لم أقابلها. وإذا لم أكن قد التقيت بك لكنت فعلت بنفسى. تذكرى أننى كرست وقت العمل الثمين الخاص بى من أجل البحث عن أبيك.

ـ وأنا لست بحاجة إلى تذكرنى بذلك فى كل آن وفى كل حين على أية حال، دعنى ارى ما هو طبيعة العمل الذى سوف تكلفنى به.

www.elromancia.com

وحاولت أن تنهض واقفة غير أن برادين ألمح إليها بأن تجلس، وقال:

— هناك المزيد من الوقت من أجل ذلك. استمتعى بشرب البراندى.

ثم سرعان ما ورد فى خاطر شارلى أن تلك القصة الخاصة بمعاونته فى العمل ما هى إلا ذريعة تخفى نوايا أخرى لبرادين؟ ثم راحت تلوى الكأس حول نفسه وهى تحاول أن تتجاهل الأحاسيس المستثارة التى زحفت على أعضائها.

هل ثمة شىء يضايقك؟

كانت شارلى تبدو شاردة الذهن. وهى تنظر إلى السائل المتلألىء، والآن علمت بأنه كان يراقبها، ويرصد منها كل شاردة وواردة. وقالت:

— إننى لأبغض الجلوس هكذا بدون فعل أى شىء.

— أنت تقصدين أنك تكرهين الجلوس معى؟

— لقد قلت بأنك تريد انجاز مذكراتك.

— وطلبت منك أيضاً أن تصاحبينى وتشاركينى الشراب.

— هل أنت تكره الشرب بمفردك؟

— لا فرق عندى ولكن حينما يكون لدى ضيوف أحب صحبتهم.

— وهل يصلح لذلك أى أناس آخرين حينما تكون استيفا غير موجودة؟

تجهم وجهه وأسود، وصاح يقول:

— ما الذى تضمرينه ضد استيفا بحق الجحيم؟ أعلم بأنك لم تقابليها ولو مرة واحدة فى حياتك.

قالت شارلى فى سرعة:

— لست بحاجة إلى ذلك؟ وتركها ملابسها ههنا دليل كاف على نوع العلاقة التى تستمتعان بها.

— ويضايقك ذلك، أن تكون لى علاقة عاطفية بـ استيفا؟

وضاقت عيناه وأصبحتا مرهفتين وهو يقول ذلك، أما شارلى فكان يجب عليها أن تضبط مشاعرها على نحو واع.

بوسعك أن تكون لديك علاقة مع فتاة مختلفة كل صباح. وهذا أمر لا يقدم ولا يؤخر عندى.

— إذن لماذا كل هذا الذى يصدر عنك؟ إنك أنت التى تعشرين اسمها فى ثنايا حديثنا.

قالت شارلى:

— فلنقل بأننى أتحامل عليها، فهل من المحتمل أننى سوف أراها أبداً؟

رد برادين فى سخرية وهو يقول:

— يالله من فضول لا يفارق المرأة أبداً؟ ولكن، أجل، استطيع القول بأنه من المحتمل جداً أن تقابليها. وهى الآن على الرغم من كل ذلك فى باريس.

وأين تعيش هى حينما تكون فى بلادها.

— فى نيما.

ولم تستطيع شارلى أن تكبت الغيرة التى لا تفهم لها سبباً تلك التى ثارت فى حلقها وصارت كالمرارة. وكان ثمة سبب واحد يفسر لماذا تمكث وتقيم امرأة ما ههنا بينما بيتها الخاص بها مغلق.

وثارت ابتسامة مفاجئة على ثنايا فمه وهو يقول:

— هل هناك أية اسئلة أخرى؟

فقد كان يعلم تماماً ما الذى تفكر فيه.

— كلا.

ثم ابتلعت البراندى فى جرعة واحدة وتألمت من اصابتها بالغصة حينما لسع السائل النارى احشاءها وهو يشق طريقه عبر زورها.

— إذن أفضل أن نشرع فى عمل ما هو منوط بنا من أعمال.

فراح ينتقل إلى الغرفة الأخرى وهى وراءه وتتمنى لو زال عنها ذلك الشعور بالرغبة الجنسية الذى يطاردها، إذ أنه يزيد الأمور تعقيداً. وأخذ يفتح ويجذب الملفات الواحد بعد الآخر، ويرفعها من الأدراج، وكل منها مليىء بالمذكرات المكتوبة بخط اليد والصفحات المطبوعة، والصور

www.elromancia.com

الفوتوغرافية، والرسومات.

ـ أجل اعلم أن الأوراق مربكة. واعترف بذلك. فهى مذكرات مركونه منذ سنوات عديدة مضت، بعضها استخدمته، والبعض الآخر لم استخدمه. ولكن كلها محتمل أن ترد فى التصنيف. وهى بحاجة إلى كثير عناية أثناء الفرز، والتبويب والفهرسة، حتى أتبين تماماً ما الذى أقوم به من عمل.

قالت شارلى:

ـ هذا يبدو عملاً كبيراً.. ولا أعرف من أين أبدأ.

وقد ارتسمت على وجهها التجهم والشحوب. فأومأ برأسه يقول:

لقد اعتزمت أصلاً أن أضع كل شىء فى الكمبيوتر، ولكن طالما أنك ينقصك المهارة اللازمة لتصنيف الكروت، وعمل الإشارات والرموز الخاصة بها على المذكرات ثم وضعها فى الملفات سواء حسب الترتيب الأبجدى أو الزمنى. فسوف أدخلها فى الكمبيوتر فى مرحلة تالية. حيث إن اكتشافاتى الأخيرة مخزنة هناك.

جاء فى ذهن شارلى انطباع حسن، وتمنت فجأة لو أنها علمت كيف تشغل تلك الآلة أو الماكينة السحرية. وقالت:

ـ إذن لم تكن قد قمت بذلك منذ فترة طويلة مضت؟

وكانت تعلم بأن الكمبيوتر يمثل مهارة يحتاج إلى اكتسابها كل امرىء فى عالم التجارة والأعمال فى هذه الأيام، على الرغم من أنها تصادف عملاً يجعلها توقن بنفعه وأهميته.

ـ كلا، وأنا لازلت أتحسس طريقى إليه. أما رامون فهو الساحر عظيم البراعة فى استخدامه. وهو يضطلع أيضاً بالرسوم الجرافيك وكافة صنوف العمل الفنى، تاركاً لى حرية كتابة النص الأصلى.

ـ هذا يبدو ظريفاً للغاية، وصارت شارلى تتوق فجأة إلى بدء العمل، فأخذ تنظر إلى الأوراق واكتشفت أنه يتعين عليها أن تقرأها حتى قبل البدء فى التصنيف. وهو أمر سوف يستغرق منها السنين. وأبوها

سيكون قد تحسن قبل أن تنهى وتنجز ذلك العمل.

ـ قال برادين:

ـ لقد وضعت العناوين على الكروت من قبل.

ثم مال نحوها والتقط بعض شرائح الورق، وعلمت شارلى بأنها لم تكن مصادفة حينما لامس بيده صدرها.

فاشتعلت أواراً من داخلها وتنبهت مراكز الإثارة، وصارت على وشك أن يبدو عليها ذلك، فتذرعت بحاجتها إلى النوم، وحاولت الانصراف، إلا أنه أمسك بيدها وضمها إليه وقال:

ـ لقد ازعجنا رامون من قبل أما الآن، فليس من أحد سوف يقاطعنا.

وعلى الرغم من أن بدنها كان يصرخ طالباً جسده، أيقنت شارلى بأنه يتوجب عليها أن تنكر ذلك. وسماحها لبرادين بأن يقبلها. كان مجنوناً. فدفعت يده وهى تقول له:

ـ كلا يا برادين:

ودفعته براحة يدها المسطحة على صدره بكل ما أوتيت من قوة، ولكنها كانت كالإنسان الذى يحاول زحزحه حائط صخرى.

أمسك برادين بمعصميها ولف ذراعيها حول ظهرها، وجلبها إليه حتى صار جسدها ملاصقاً تماماً لجسده القوى. وقال:

ـ كفى عن المحاولة.

وانحبس نفس شارلى فى حلقها. وصار الاتصال يصيب بالحساسية والإثارة كل عضو من أعضائها، وهو الأمر الذى جعل من المعركة استحالة. قالت:

ـ ماذا دهاك، ألا تستطيع الانتظار حتى تعود استيفا؟ إننى أعتقد بأنها أكثر تحرراً فى كرمها والإغداق بخدماتها عنى أنا.

قال:

ـ دعينا وشأننا وأخرجى استيفا من هذا الموضوع.

www.elromancia.com

ـ لماذا، والأمر واضح فى أنها جزء كبير من حياتك؟ ولكن إذا لم تكن تفكرك لها هو الذى يضايقك، فماذا إذن الذى يضجرك؟؟

ـ شارلى!

غير أنها مضت تقول:

ـ وأنا أتخيل أن حالتك هذه نادرة، ولكن حتى برغم ذلك، هذا لا يعطيك الحق فى أن..

ـ اسكتى يا شارلى.

واستمرت تقول:

ـ فى أن تقتنصنى بخيالك كلما ورد ذلك على خاطرك وطاف بخيالك. وإذا كنت حقاً متلهفاً على الجنس، إذن أتخيل أن هناك وفرة من الفتيات اللاتى سوف يكن مرحبات و...

انغلق ثغره على ثغرها فى وحشية، واندفع فى جسدها تيار من المشاعر الفياضة: وكانت هى على حق فى أن تحاول دفعه وتحاشيه.

وشعرت بأنها يحيط بها ويحدق بكيانها خطر الذوبان بين ذراعيه. وصارت المقاومة عديمة الجدوة. واعتقلها فى قبضته، وراح يطحن شفتيها بين أسنانه، وهو يقبلها.

وكان ضعفها هو المسئول عن تسربه إلى داخل وجدانها وأحاسيسها وإثارتها على هذا النحو، فصارت فى حالة من التلهف والإشتياق. وقد كانت تريد تلك القبلات. وتريده بنفس القدر الذى يريدها هو وإن كان يريدها لأسباب أخرى، لم تفطن هى إليها بعد.

واستنزفت مقاومة شارلى، وخارت قواها رويداً رويداً، ولما تحققت من أنها لم تعد قادرة على مقاومة برادين، راح يقبلها فى هدوء ورقة. وراخت ذراعاه، وصار فى حالة من الشبق والإشارة عندما أجرى حافة لسانه على شفتيها، وهو ينتقل من ثغرها إلى عنقها ووجنتيها يقبلها قبلات حارة.

تراجعت رأس شارلى إلى الخلف، وأصدرت نشيجاً وأنيناً يعبر عن رضائها وأشباعها. فلماذا إذن تجاهده وتدفعه فى حين أن كل جزء من

أجزاء جسمها وأعضائها يصرخ طالباً إياه، ويتوق إليه، ويستجيب له؟ قالت شارلى وهى لا تدرى حتى أنها تكلمت ونطقت:

أوه. برادين!

ـ لقد كانت صرخة من القلب، انطلقت منها عنوة بغير أن تدرى من جراء تكثيف السعادة واللذة التى بثها فيها برادين:

أخيراً زلق الملابس التى كانت تريدها إلى أسفل كتفيها. وأصبحت شارلى فى حالة لا تسمح لها بالاحتجاج أو الأعراض عنه. ورفعت ذراعيها، وقوست بدنها نحوه، وهى تدعوه، كى يقضم شفتيها، فجعل يفعل لها ما أرادت.

عند ذلك الحين ثارت كل شهوات وشبق شارلى، خصوصاً لما راح لسانه وأسنانه تمزقها وتعذبها، وتثير فيها المشاعر الدنيوية كالانفجار.

لقد كانت فى حاجة إلى المساندة، حيث صارت ساقاها فجأة غير قادرتين على الإحتمال ورفع حمل وثقل جسدها. فمالت تستند على حافة مكتبه. والآن أجرت يديها عبر كثافة شعره، وهى تمسك برأسه إليها، أما وجهها فقد بدت عليه آثار ممارسة برادين للحب معها.

وشاءت أن يبث فيها المزيد، وشعرت باحتياجها إليه فى تألم شديد، ولما رفع رأسه ومدد ظهره، لاقت شارلى لحظات مريرة ومروعة من انصرافه بعيداً عنه. وفى سرعة كالبرق اجتذبت وجهه نحوها، وفى هذه المرة كان لسانها الذى يتتبع ويقتفى أثر ثغره وتجاعيد وجهه، ويبحث عن طلاوة فمه ولسانه. وجعلته يرى أن كل نفس من أنفاسها يعبر عن رغبتها فيه وإرادته له.

ـ لا يا شارلى.

قال ذلك وهو يبعدها فى رقة مشوبة بالحزم عنه.

ـ ولكننى أريدك يا برادين.

وكانت صرختها حزينة كئيبة، وما كانت لتصل إلى ما وصلت إليه مالم يطير صوابها ويطيش بعقلها من جراء إثارته لها. قال:

ـ لا داعى إلى ذلك

تجهمت شارلى وصاحت:

ـ لا استطيع أن أفهم ذلك.

رد عليها يقول:

ـ أى رجل أحمق يستطيع أن يثير المرأة ويجعلها تتوسل إليه أن يمارس لها الحب وذلك هو مالا أريده.

أسودت عيناها الزرقاوان من جراء الألم المبرح، وتساءلت:

ـ إذن ما الذى تريده؟

ـ إن ما أريده هو المستحيل.

فسألته سؤالاً قاسياً قالت:

ـ ما نوع ذلك الجواب وهذا الرد وماذا يعنى؟

ـ الإنسان الوحيد الذى سوف تستحوذين عليه، إذا لم تكونى قادرة على إثارته، إذن أنا لن استطيع أن أقوم بذلك بدلاً عنك. ومن الأفضل أن ترتدى ملابسك وتغطى نفسك وإلا سوف تصابين بالبرد.

وكانت شارلى ترتعش أصلاً، ولكنه كان الغضب هو الذى جعل أعضاءها ترتعد. لقد امتهن كرامتها وأهانها. لقد جعلها تشعر بأنها رخيصة. وتعمد إثارتها، ولقد أصبحت تبغضه وتكرهه. كلا، لا تمقته. فهى لا تزال تحبه. وملأت الدموع عينيها. يالها من عاطفة قاسية حمقاء. وهو رجل متوحش العواطف وجلف.

لقد كان قاسياً عديم الرحمة أو الشفقة فى الغابة، والآن لا يزال كما هو، وجعل يعاملها فى خشونة وفظاظة. إن كل ما كان يريده هو المستحيل. فاذا تعنى تلك التلميحة الخفية؟ طعنت ذراعيها فى وحشية إلى داخل ردائها وأغلقت الزرابر تغلقها. وكان برادين يقف عند الباب ويمسك به مفتوحاً. لقد طردها. فنظرت إليه فى عينيه وهى تمشى فى احتقار وازدراء.

ـ لا تمسن طرفاً منى بعد الآن، يا برادين كويست.

وسوف أقوم بفهرسة كتابك، لأننى أشعر بأننى أدين لك بهذا، ولكن من الآن فصاعداً علاقتنا هى علاقة عمل فحسب.

أومأ برأسه وهو يقول:

ـ إذاً كان ذلك هو ما تشائين.

ولم يكن ذلك هو ما تريده، ألا عليه اللعنة، وسوف تمضى على مضض تلك الأسابيع القادمة فى العمل معه، وإذا تجرأ ومسها سوف تكون كالعجينة بين يديه وذراعيه، ومهانة واحدة تكفى.

وبمجرد أن وصلت إلى غرفتها إنهارت مقاومة شارلى وانكسر تحكمها وسيطرتها على نفسها. وانسدلت دموعها تنسكب على وجنتيها وأخذت تقطر قطرة قطرة تتساقط من ذقنها. ولم تفعل شيئاً كى توقفها، اللهم إلا ركوعها على ركبتيها وهى تحتض بين ذراعيها رأسها، على حافة الفراش. وجعل نشيجها وبكاؤها يضنى فيها الجسد والوجدان. ولم تشأ أن تصدر ضجيجاً حتى لا يسمعها برادين ويأتى مستفسراً. إذ سيكون ذلك بمثابة الخزى والتفسخ الذى ليس من بعده شىء.

وفى صباح اليوم التالى، بكر برادين بمغادرة المنزل، قبل أن تستيقظ شارلى وتنهض من فراشها. حيث اتصلت هاتفياً بالمستشفى، وأخبروها بأن أباها أمضى ليلة مريحة. وقالت على طعام الافطار أثناء تناوله:

ـ أنا سعيدة بوجوده ههنا يا أماه! وإلا لما استطعت انجاز العمل الذى أوكله إلى برادين. إذ كان يجب على أن أذهب لأرى أبى وأطمئن عليه.

ابتسمت ايزابيل وهى تقول:

ـ إننى أمنحه الحب الذى تريدين أن تمنحيه له. وسوف تأتى أنت هذه الليلة أليس كذلك؟

ـ لا أعرف، ربما أرى تصرف برادين وموقفه.

قالت أمها:

ـ هل تحبينه يا شارلى؟

نظرت فجأة إلى أمها، وأخذ قلبها يدق وصاحت:

— ما الذى يجعلك تقولين هذا؟ إننى أمقته. أليس ذلك واضحاً؟

أجابت المرأة الكبرى فى حزم تقول:

— كلا، هذا ليس صحيحاً. إننى لم أرك أبداً على هذا الحال. أنت فتاة تغيرت، وتتغيرين كلما تذكرين اسمه، وفى الليلة الماضية كان الجو متوتراً بينك وبينه. ولست أتحدث عن العداء، حتى برغم أنك تشتمينه وتسبينه.

— أنت مخطئة يا أماه، ليس ثمة شىء بينى وبينه.

ابتسمت أمها ابتسامة اقرار وهزت رأسها. قالت:

— أعتقد أنها يطلق عليها هذه الأيام تعبير «لغة البدن» وأنت تعطين وتصدرين كل انطباع فى انجذابك إليه.

ولما شعرت بعدم جدوى الاستمرار فى انكار ذلك، رفعت كتفيها فى هزه تعبر تعبيراً بليغاً عما يدور فى ذهن أمها وصاحت:

— لم أعلم أبداً أنك هكذا داهية ماكرة. أمى، لقد كنت أعتقد بأننى أخفى مشاعرى على نحو جيد ومتقن.

— إذن أنت تحبينه.

— أجل، وبالى من حمقاء فى ذلك.

— وماذا عن برادين.

— الله وحده هو الذى يعلم بمشاعره. وإننى أتمنى من كل قلبى أن اتخلص من أداء ذلك العمل له. إن بقائى ههنا سيؤدى إلى مقتلى ومصرعى.

واستيفا تلك التى ذكرتها، هل برادين يحبها؟

— هزت شارلى كتفها وأخذت قضمة وحشية من «الكرواسان»، وقالت:

— إنه يقول كلا، ولكننى لا أصدقه.

— هل سبق له أن، أقصد، هل عندما انفرد بك...

— إذا كنت تقصدين أنه راودنى عن نفسى، فالإجابة نعم.. ولكن

الأمر لا يعنى له شيئاً، وأعتقد أنه أصيب بالإحباط لأن استيفا ليست موجودة هنا.

وكل ما آمله هو أن انصرف من هذا المكان قبل أن تصل وتعود من باريس. فأنا لا استطيع مقاومة رؤيتها معاً.

بدت أمها تتدبر الأمور، ولكنها لم تقل المزيد، وسرعان ما غادرت المنزل مع كارلوس متوجهة إلى المستشفى. وشقت شارلى طريقها إلى مكتب برادين، وجلست مستعرة على مكتبه وشرعت تقرأ مذكراته.

وكان خط برادين صعب القراءة، ولكنها بعد هنيهة من الوقت اعتادت عليه وسرعان ما استغرقت فى عالم بلاد أهل «الانكاس» وحضارتهم.

لابد وأن الموضوع شائق للغاية.

شبكت شارلى يدها على فمها، وصدمت على حين غرة من رؤية رامون الغوردو وهو يبتسم إليها صاحت شارلى:

— لقد فزعتنى حتى كدت أهلك وأموت.

— آسف، ولم أقصد ذلك. ماذا تفعلين؟ إن خوانينا تقول لى أنك كنت هنا منذ ساعات، وأعتقد أنه ينبغى التوقف والانضمام إلى لشرب قدح من القهوة.

كم كانت لهجته جذابة. رمقته وهى تنظر إلى ساعتها، وقد سرها أن ترى كم من الوقت قد طار وانصرم. صاحت:

— أجل. من فضلك.

وتحرك إلى الطرف الآخر من المكتب ولاحظت ابريق القهوة على المنضدة المنخفضة. قالت:

لقد أحضرت ذلك معك، أليس هذا صحيحاً؟

أومأ رامون برأسه وقال:

— أنت تبدين حقاً وقد استغرقك العمل.

— أنا أعشق كل شىء يتعلق بحضارة أهل «الانكاس» لقد فتنتنى

www.elromancia.com

طوال حياتى.

ـ أنت فتاة رائعة الجمال.

قالت فى نفسها إن برادين لا يعتقد شيئاً من ذلك. وكانت الكلمات على حافة لسانها، بينما جلست هى فى أحد المقاعد العميقة، ولكنها سرعان ما قالت:

ـ لقد استمتعت دائماً باستكشاف بلادهم مع أبى.

ـ لابد أنه فخور بك للغاية

ـ كان يريد ابناً، وأظن أن ذلك يفسر طبيعة تصرفاتى الخشنة.

ـ أنت لم تفقدى أنوثتك حتى الآن.

ـ أنت جميلة جداً، يا شارلى، وإنى على يقين من أنك قد سمعت هذا الكلام مرات عديدة. وأعتقد أن برادين وأنا محظوظين بسبب وجودك معنا ههنا فى العمل.

ـ أنا سعيدة باستطاعتى المساعدة.

دفع رامون فنجان القهوة الخاص بها على المنضدة، وقال:

ـ ضعى القدر الذى ترغبين فيه من السكر. وخذى ذلك البسكويت. إن خوانينا تصنعه بنفسها. وهى لذيذة الطعم.

ووضع قطعتين فى طبق الفنجان الخاص به وجلس فى المقعد الآخر، وقال:

ـ أنا سعيد يا شارلى بسبب انصراف برادين هذا اليوم. وهذا سوف يوفر لى ولك الفرصة فى معرفة والتعرف على بعضنا البعض.

ـ أحسب أنه ينبغى عدم اتفاق الوقت فى الكلام. حيث هناك الكثير من العمل الذى يجب انجازه، ولم أبدأ حتى الآن فى التنفيذ.

صاح رامون:

ـ إن برادين لا يتوقع منك أن تبذلى الكثير من الجهد هذا اليوم، وأنا على يقين من ذلك. وكم من الوقت تعتقدين أن أباك سوف يمكث فى المستشفى.

عدة أسابيع قليلة. على ما أظن.

قالت ذلك شارلى وهى تأكل البسكوت. وكانت تتمنى لو أنه أشاح بعينيه عنها. لقد كان يجعلها تشعر شعوراً غير مريح.

ـ من الواضح أننى أشعر بالأسى والحزن عليه. ولكن هذه الأخبار أخبار طيبة للغاية. والشىء السيىء ههنا هو عدم وجود أنثى تصاحبنا فى العمل.

ولكنك متزوج، أليس كذلك يا رامون؟

هز كتفيه، واتقدت عيناه البنيتان. وقال:

ـ هل قال ذلك برادين؟ يالها من مأساة. ولكن زواج الرجل لا يعنى أنه لا يستطيع الإعجاب بإمرأة أخرى.

ـ وأنا أحب أن أسمع كلمات الإعجاب والاطراء.

ثم أردفت تقول وهى تبتسم ابتسامة مثيرة:

ـ وأنا لا أحب أن أكون على علاقة بالرجال المتزوجين.

قال رامون:

ـ أنت لا تستطيعين أن توجهى إلى اللوم. فأنت جذابة جداً جداً.

وكانت شارلى ترتدى فستاناً هذا الصباح، واحد من تلك الفساتين القليلة التى تمتلكها، ولكن لم يكن أبدع ما لديها من ملابس. وأخذ يطوف بخيالها تساؤل وتعجب. لماذا يهيم بها رامون، ويبدى لها كل تلك المشاعر، هل بسبب ذلك الفستان الذى يظهرها فاتنة، أم بسبب أنه رآها عارية فى حوض السباحة مع برادين؟ قالت وهى تبتسم:

ـ وأنت جذاب وفاتن فى نفسك!

وأخذت ترتشف القهوة وهى تنهض واقفة.

ـ والآن سوف أعود ثانية إلى العمل.

وبينما كان يتحرك خلف كرسيه، نهض واقفاً، وأمسك بيدها، قال:

أتعشم ألا أكون قد جرحتك، يا شارلى؟

فابتسمت ابتسامة اخلاص وقالت:

www.elromancia.com

— بطبيعة الحال. كلا.

فرفع يدها إلى فمه وقال:

— أنا لا أرغب فى أن أفعل ذلك.

وفى تلك اللحظة انفتح الباب ودخل برادين إلى الغرفة. فأقطب وعبس متجهماً عندما رآهما يقفان بجوار بعضهما. حاولت شارلى أن تتراجع، ولكن رامون أصر على الالتصاق بها.

قال رامون وهو ينظر فى غير ارتباك أو ارتياب:

— برادين، لم أتوقع أن تعود هكذا فى وقت مبكر.

— من الواضح أنك لم تتوقع المفاجأة. فهل تسمح لى بأن تخبرنى ما الذى تفعله ههنا بحق الجحيم؟

الفصل التاسع

عودة استيفا

لمعت أسنان رامون الـ غوردو ووضح لونها الأبيض وسط بشرته السوداء حينما ابتسم لبرادين. وقال:

— هذا أمر بسيط يا صديقى العزيز، كل ما هنالك أننى أقدر امرأة جميلة.

— إن السنيوريتا بلبك ههنا من أجل العمل فقط، وليس من أجل أن يبثها الآخرون الحب.

قال ذلك برادين وهو فى حالة من التهكم والسخرية.

— لقد كانت شارلى تعمل لعدة ساعات طويلة. وكانت بكل بساطة تتناول القهوة فى الفترة بين العمل المخصصة لذلك. وهى تستحق تلك الفسحة من الوقت.

نظر برادين فى برودة إلى شارلى وقال:

— هذا هذا صحيح؟ إذن أربنى ما الذى فعلتيه.

— إننى لم أبدأ حتى فى الفهرسة والتصنيف أنا...

قال برادين:

— كما كنت اعتقد. وهى ليست فكرة طيبة أن أتركك معاً. وسوف أوجد لك غرفة أخرى حيث تقومين بعملك فيها بمفردك يا رشارلى.

صاح رامون فى خشونة وقد أصبح كبرياؤه جريحاً.

— ذلك ليس ضرورياً. ولن أضايقها مرة ثانية. إذ أننى لم أعلم أنها من بين ممتلكاتك الخاصة.

ضاقت عينا برادين، وقال:

www.elromancia.com

— هى ليست ملكى على الطريقة التى تعنيها، ولكن طالما أن شارلى تحت سقفى فأنا أشعر إزاءها بنوع من المسئولية.

قالت شارلى فى حدة:

— أعتقد أنك تبالغ فى الأمور. إن رامون ما هو إلا صديق.

هنا حول برادين نظرته إليها وقال:

— أنت تتناسين أننى أعرفه بأكثر مما تعرفينه أنت. أنا أحب رامون، ولا داعى لأن تجعلينى أقع فى الخطأ. وهو فنان ماهر لا أنكر ذلك، ولكن حينما يدخل بين الرجال الجنس اللطيف، فلا نعلم مغبة الأمور، وإنه لذو شهوة جنسية نهمة.

سحب رامون وجهه خجلاً وهز كتفه يقول:

— أنا لا استطيع المقاومة. هذا أمر فى دمى.

وزواجه من كارمين لم يشبع له تلك الشهوة الجامحة. ولحسن حظه أن زوجته لم تكتشف طيشه، ولكن فى يوم من الأيام لن يكون محظوظاً كما كانت الأحوال دائماً، وحينذاك فالويل له من زوجته. إن كارمين منحرفة المزاج وعصبية. ولا أريد منك يا شارلى أن تخاطرى وتجعلى نفسك عرضة لمثل تلك المواقف السخيفة والمواجهات التى لا تحمد عقباها. والآن، أقترح أن تعودى إلى العمل.

ومضت بقية النهار عادية، وعاد رامون، أدراجه إلى المنزل فى حوال الساعة الرابعة. وعادت إيزابيل من المستشفى فى الوقت الذى حان فيه تناول طعام العشاء، أما شارلى فقد خرجت معها لتمضية ساعتين من الوقت فى الخارج.

ولم يبد تحسن كبير على أبيها، وكان لا يزال متعباً ومنهك القوى، وواهياً بسبب كبر سنه، على الرغم من أنها كانت تعلم أن الوقت لا يزال مبكراً حتى تتوقع أى تغيير. قال سبنسر وهو يبتسم ابتسامة واهنة:

— خبرينى ما الذى كنت تفعلينه اليوم.

هزت شارلى رأسها وقالت:

— ليس الكثير، كل ما هنالك أننى كنت أقرأ مذكرات برادين. إنها شيقة للغاية، وهى قد استغرقتنى تماماً. وطار منى الوقت.

— لقد جاء يعودنى ويزورنى هذا الصباح.

اتسعت عينا شارلى وهى تقول:

— هل قد جاء إليك؟ إننى لم أعلم بذلك.

— لقد كان بمر بجوار المستشفى. إن برادين هو الإنسان الذى تخيلت دائماً أن ابنى سيصبح مثله. وكلما رأيته، كلما آمنت بذلك، لقد كنت دائماً أعجب بهذا الفتى، ولكن شخصيته الحقيقية لم تظهر أبداً فى محاضراته. وإننى مسرور للغاية أن أصبحت أنت وهو صديقين.

قالت شارلى مصرة على رأيها:

أبى. أنا أعمل معه فقط. ومتى ما عدنا إلى بلادنا، فسوف لن أراه مرة ثانية.

قال أبوها:

— ربما. إن يتواجد فى انجلترا غالباً، وهو قد أخبرنى بذلك. وأعتقد بأنه سوف يأتى إلينا كى يزورنا. وأعتقد أننا كسبنا صديقاً مدى الحياة.

أضحت مشاعر شارلى مختلطة. شطر منها يتأوه متألماً، لأنها علمت بأن الإنفصال بغير اتصال جنسى هو الحل الوحيد، الطريقة الوحيدة التى يمكنها بها أن تخرجه من عقلها وحياتها وتنساه. ولكن كانت مشاعرها الداخلية أمراً مختلفاً. فهو لا يحبها. وإن كانت له مشاعر حب لها، فهى بالتأكيد كانت سوف تضمر وتتطور أثناء فترة ترحالها معاً فى الأدغال، والآكام. لقد كانت رغباته جنسية فحسب، ولم تتعمق أبداً لتصبح حباً.

والأيام القليلة التالية مضت على نفس الوتيرة والمنوال... وكان رامون ينتهز كل فرصة لكى يجاذبها أطراف الحديث ويتسامر معها، غير أن شارلى كانت تحتفظ بينها وبينه بمسافة. إن برادين لا يهمه من الحياة سوى العمل فحسب، ولم تره دائماً بمفرده، ولكنها غالباً كانت تضبط عينيه تتأملانها ملياً، وتمنت من كل قلبها أن تعرف ما الذى يدور بخلده.

www.elromancia.com

تقدمت عملية التصنيف والفهرسة باضطراد وأحبت شارلى العمل. لسوف يكون يوماً تعيساً ذلك الذى تغادر فيه نهائياً بيت برادين. أنت تحب وتعشق أن تساعد شارلى فى تأليف كتابه. لقد شرع فى الكتابة مرة ثانية، وغالباً ما كان يعود إلى المكتب خصيصاً من أجلها، وينشنى على الكروت المصنفة، أو يتصفح الصفحات والأوراق، الأمر الذى كان يطيش بصواب شارلى ويجعل أعصابها متوترة ومشتعلة كالنيران، كلما اقترب منها.

ثم مضت أيام أخرى على هذه الحال، وفى يوم من الأيام التى لم تكن تعمل لها شارلى حساباً أو تتوقعها إذا بها تجد أمراً عجيباً يحدث أمام عينيها. حيث ألقت فتاة نضرة البشرة داكنة اللون، طويلة، بنفسها عليه تختضنه يا أيها الحبيب، أين كنت؟

فراحت شارلى تدير عقلها وتتساءل فى جنون هل هذه استيفا. إذ من غيرها يستطيع أن يلقاه بمثل ذلك النوع من الترحاب؟

ــ لقد جئت مبكرة خصيصاً من أجل أن أراك، ولم يكن ههنا حينذاك من أحد سوى رامون وخوانينا. لقد افتقدتك كثيراً جداً.

أما القبلة التى أعقبت ذلك كانت مربكة تماماً لشارلى حين شاهدتها. لقد كانا يلتهمان بعضهما البعض، أو على الأقل كانت استيفا تلتهم برادين، وبدا هو يحاول أن يضع حداً لقبلاتها الحارة.

وحينما انفصلا أخيراً، نظر برادين إلى شارلى التى كانت تحاول جهدها أن تتخفى فى الخلفية وتتلاشى. وقال:

ــ تعالى يا شارلى حتى أعرفكما على بعضكما. أنا أعلم أنك كنت تتوقين لملاقاة استيفا.

قالت شارلى فى نفسها، أجل تعرفنى على استيفا الخنزيرة، غير أن الابتسامة التى ارتسمتها على شفتيها لم تظهر شيئاً من مشاعرها. وبدلاً من ذلك، كانت الفتاة الأخرى هى التى عبست وأقطبت جبينها. قالت:

ــ يا برادين، من هذه؟

وراحت تلتصق بذراعه على نحو وثيق كما لو كانت تمتلكه. فابتسم إليها ابتسامة عجيبة وقال:

هذه شارلى بلبك. هى وأمها تقيمان هنا.

قالت الفتاة، وعيناها تمتلان بالشك، وهما عينان جميلتان حقاً:

ــ لماذا؟

ولم يكن ثمة أحد ينكر أنها جميلة للغاية. وكان شعرها الأسود الكثيف يبث بوجهها، ويلتف فى التفافات واحناءات جذابة مشوقة.

قال برادين:

ــ تلك قصة أخرى، قصة طويلة، سوف أقصها عليك فيما بعد.

ولم تبذل استيفا أية محالة لكى تلاقى وتأخذ يد شارلى الممدودة، ونظرت ببساطة إليها فى تعجرف وكبرياء، وهى تمتلىء بالمقت المكثف لها.

وفى اليوم التالى عندما أوشكت شمس النهار على أن تتكبد وسط السماء، جلست شارلى على مكتبها وهى بعد غير قادرة على التركيز فى العمل، تحملق فى الخواء فى الناحية التى أمامها، وتتعجب كيف سوف تتمكن من قضاء الأسابيع القليلة القادمة مع هذه الاتسانة التى تسمى استيفا ذات الدم الثقيل.

انضم إليها رامون ولامس بيده يدها ثم كتفها وقال:

ــ لماذا لا تطلعين برادين على حقيقة مشاعرك؟

ــ ردت تقول فى احتجاج ظاهر:

ــ كيف يتسنى لى ذلك فى الوقت الذى تتضح فيه مشاعره وكيف أنه يفضل استيفا عنى؟ وحتى لم يكن يفضلها عنى، فإنه لا يحبنى. ذلك أننى لست من الطراز الذى يفضله. قال فى شىء من الحزم:

ــ لا تبخسين نفسك قدرها وحقها يا شارلى. أنت فتاة جذابة للغاية وأنت لست بحاجة إلى أن تشبهى عارضات الأزياء حتى تكسبين رجلاً.

قالت فى يأس ونوس:

— ولكن ذلك يجدى وله النفع.

هراء. إن النساء أمثال استيفا فى هذا العالم هن اللائى يصاحبن الرجال إلى الفراش، ويطارحونهن الغرام والحب، أما عند الزواج فهم يفضلون البنات أمثالك.

— هل تعنى بذلك أن برادين لن يتزوج استيفا؟

— إننى أشك كثيراً فى ذلك. حيث لدى استيفا أفكار أخرى، ولكن برادين — يختلف عنها فى أفكاره. ولست أعتقد فى أنه سيتزوجها.. فهو يعرفها منذ أمد طويل، وهما صديقان حميمان، وليست أنكر شيئاً من علاقاتها، غير أن فراقه لها لن يكسر قلبه.

حينذاك بدأت شارلى تشعر بالتحسن، وقالت:

— كم من الوقت قضته استيفا ههنا؟

— أمضت كثيراً جداً من الوقت وكل ما استطاعت أن تنفقه من الزمن أنفقته هنا وأكثر مما تقضيه فى بيتها مع أبويها، ولسوء الحظ بيد أن لكليهما التزامات تعنى أنها فى حقيقة الأمر لا يرى بعضها رفيقه ندأ للآخر.

قالت شارلى:

— كيف تكسب استيفا معيشتها؟ هل هى عارضة أزياء؟

— هى راقصة، وراقصة جيدة جداً، أعتقد ذلك، وستقوم بجولة قريباً فى عدد من دول العالم، وهو الأمر الذى سيفتح أمامك الطريق.

— عند ذلك الحين سأكون قد عدت إلى بلادى.

هز كتفه مستنكراً وصاح:

— من يعلم أن ذلك سوف يحدث؟ وأنا شخصياً أعتقد أن برادين سوف يصير أحمق لو سمح لك بالإفلات من بين يديه. حيث يبدو كلاكما مناسبين لبعضكما البعض. واستيفا ليست مهتمة البتة بعلم الانثروبولوجيا إنها تهتم فقط برصيده فى البنك.

وعندما انضم إليها برادين، التفتا إلى العمل وأخذ يركزان فيه. ولما

دخل إلى الغرفة رمقته شارلى وتلاقت عيناها بعينيه. وجلس هو على مكتبه وظل ماكثاً هناك فترة طويلة، حتى أن شارلى رمقته بنظرة مرة ثانية. لقد كان يراقبها. قال:

— ماذا دهاك؟

— أنا لا أفهم ما تعنيه.

— لماذا لم تأكلى طعامك كالمعتاد.

— أجل أهذا السبب تسألنى.

— نعم. أنت تهملين هذه الأيام طعامك.

— إن ما آكلته قد أشبعنى تماماً. وفى الواقع، إننى أسألك يا برادين هل سوف تلح فى كل مرة وتظل تسألنى وتستفسر عن سبب تركى بعض الطعام؟

— أنا قلق عليك.

قال فى حدة لاذعة:

— لا داعى لأن تقلق على فأنا بخير.

— هل ثمة شىء يضايقك من ناحيتى.

— كلا، ليس البتة.

عند ذاك ساد الصمت، وفى المرة التالية التى نظرت فيها إليه، كان يبتسم بينه وبين نفسه. وشعرت شارلى بالغضب يجتاحها. ولا ريب أنه كان يتفكر فى استيفا. حيث إن التجهم وتعكر المزاج قد راح عنه تماماً واختفى.

وبعد ساعة من الزمان، انتصب واقفاً وقال:

— ماذا دهانى لا استطيع التركيز. سأذهب حتى آخذ غطساً فى حوض السباحة ثم توجه إلى مكتب شارلى ووقف هنالك يقول لها:

— ما رأيك فى أن تنضمى إلى وتأتى معى.

— كلا أشكر.

قالت ذلك شارلى فى هدوء غير غائبة به.

www.elromancia.com

— إننى أمنحك تلك الفترة من الراحة والتقاط الأنفاس. فلماذا ألا تأخذها.

— فى هذه الحالة، سآخذها لكى أذهب وأزور أبى فى مستشفاه.

وغادرا الغرفة معاً، وعند باب الغرفة صاح:

— هل تلك استيفا التى تكمن وراء غضبك.

وكان يقف بجوارها ملاصقاً لها. وشارلى تحس بدفء بدنه. وكانت كل نبضة من نبضات قلبها تصرخ فى طلبه والاشتياق إليه. غير أن ردها كان بارداً، قالت:

— إن صديقتك هذه لاتعنى شيئاً بالنسبة لى، وهى لاتضايقنى البتة. أنت تتخيل أموراً ليس لها أصل فى الواقع.

قال فى نعومة ورقة، وهو يمسح بظهر أصابعه وجنتها:

— لست أعتقد شيئاً من ذلك، وسوف أكرس لك مزيد الأهتمام، والجهد من الآن فصاعداً. أوصلى لأبيك تحياتى.

أما لمسة برادين فقد فعلت بها مايفعله السحر بالمرء الضعيف، وعندما خرج رامون من المكتب كانت شارلى لاتزال واقفة هناك. فبدت عليه الدهشة، وصاح:

— ماذا تفعلين؟

— كنت على وشك الرحيل.

— تذكرى أنك أجل وأبهى من استيفا — وهذا الرأى ينبع من رجل خبير محنك فى معرفة النساء. فهل باستطاعتى أن أوصلك عادت إليها ابتسامتها وهى تقول:

— أجل، من فضلك. ولست أريد أن أطلب من كارلوس أن يوصلنى، إذ ربما إحتاج إليه برادين. هل باستطاعتك الانتظار حتى أغير ملابسى؟ ولن أتأخر عليك بأكثر من دقيقة واحدة.

ابتسم رامون وقال:

— أخبرينى من هى المرأة التى تستغرق فحسب دقيقة فى تغيير

ملابسها. ولكن على أية حال، سوف أنتظرك.

كانت شارلى تود لو أنها استطاعت أن تأخذ حماماً، ولكنها قنعت فى نفسها بأخذ غسيل بسيط للوجه والذراعين. وأرتدت فستاناً أنيقاً ووضعت زينة رأسها فى أجل هيئة، ثم هبطت إلى أسفل الدرج فى خلال ثلاث دقائق فحسب.

أخذ رامون بيد شارلى وهو يساعدها فى ارتقاء سيارته، ثم قادها وانطلق مسرعاً، ولما نظرت شارلى إلى الخلف، وجدت برادين واقفاً إلى الوراء ينظر إليها ويراقبها. وكان كل مايرتديه هو مايو السباحة، ولما أحدقت أكثر رأت بجواره استيفا وهى ترتدى المايو البكينى. ثم اقتربت استيفا من برادين والتصقت بذراعه وابتسم هو إليها، ثم وليا مدبرين، واختفيا داخل المنزل.

ولما وصلت شارلى إلى المستشفى، دهش أبوها وأمها وسرهما أن يروها، قالت لهما:

— لقد حل أحد الضيوف على برادين، ولذا فقد أعطانى فسحة من الوقت وانطلت تلك الحجة والمقولة على والديها، وجعل سبنسر يقص عليها نوعية وأخبار العلاج الذى يتلقاه. ولم يكن لديه شىء سوى الثناء والمديح الذى راح يغدقه على الأطباء والممرضات.

اتفقت ايزابيل مع زوجها فى الرأى، وصاحت:

— إننى لأعترف بأننى كنت قلقة، وقت أن علمت بأنهم سوف يحتجزونه ههنا. ولكن سرعان ماتبدد كل شىء.

تساءلت شارلى قائلة:

— مارأيك فى أن نتناول طعام العشاء فى أحد مطاعم المدينة؟ ثم نعود مباشرة إلى البيت.

قالت الأم:

— تلك فكرة رائعة، وكم سيكون ذلك ظريفاً. لكن أليس برادين ينتظرك؟

www.elromancia.com

— لا أعتقد شيئاً من ذلك.

— لقد قلت إن لدى برادين أحد الزوار.

— قالت ذلك الأم وهما جالسان فى أحد المطاعم الفاخرة فى العاصمة.

— هذا صحيح أنها استيفا.

— تلك الفتاة التى استعرت ملابسها.

قالت ايزابيل فى نعومة:

— فماذا تشبه؟ وتشبه من من الناس؟

— تماما كما تخيلتها. مثل عارضات الأزياء إننى أكرهها.

— وماذ عن برادين وعن علاقته بهذه الفتاة؟

هزت شارلى رأسها وقالت:

— ماذا تتوقعين؟ إنها تستحوذ وتسيطر عليه. وليس لى مكان فى قلبه.

عبس ايزابيل بلبك وصاحت:

— ربما كانت حقيقة الأمور على نقيض ما يبدو فى الظاهر.

— ربما، ولكن ذلك لايدع لى مجالاً للتقدم نحوه. وسوف أكون سعيدة عندما نعود إلى بلادنا يا أماه. لماذا حتمت الأقدار أن يكون أول رجل اقع فى حبه، منصرفاً عنى وحب امرأة أخرى؟

— ذلك أمر من صميم الحياة يا حبيبتى. فإما أن يحب كلاهما الآخر، وإما أن يحب طرف واحد لطرف الآخر فحسب. والزمن كفيل بإيضاح الحقائق.

وعندما وصلا أخيراً إلى منزل برادين، لاقاهما فى ردهة البيت. وكان صوته عادى النبرة، غير أن حاجبه كان يدل على غضبه وحنقه، وتساءلت شارلى ماعساه قد غضب منه. قال برادين:

— مرحباً يا ايزابيل، كيف حال سنبسر هذه الليلة؟

— لقد تحسن تحسناً طفيفاً، على الرغم من أنه من الصعب التكهن

بحالته الصحية.

— ربما استغرق ذلك وقتاً طويلاً.

— الفضل يرجع إليك، وإلا لما كان قد جاء إلى هنا أصلاً. ولسوف أكون ممتنة لك مدى الحياة يا برادين. هل تلتمس لى عذراً إذا توجهت مباشرة إلى الفراش؟ أننى لا أعرف داخليات المستشفيات، غير أنها دائماً تتعبنى.

قالت شارلى:

— وأنا كذلك مستعدة للذهاب إلى الفراش.

قال برادين فى نبرة صوت خشنة بعض الشىء.

— أحب أن أحدثك فى أمر ما.

أقطبت شارلى. حيث بدا الأمر وكأنه يريد أن يعيد نفس التمثيلية التى سبق أن فعلها معها من قبل. فهل كان غضبه موجهاً إليها؟ وإذا كان ذلك صحيحاً فلماذا؟ قالت شارلى لأمها:

— طاب مساؤك يا أماه، سوف أراك صباحاً.

— طاب مساؤك يا ابنتى، رعاك الله. طاب مساؤك يا برادين.

ثم أخذ برادين بذراع شارلى ولفها إليه عبر الطريق إلى غرفة الجلوس.

قال برادين:

— ما الذى يدور حولى بحق الجحيم؟

وأغلق الباب بعقب قدمه ولفها إلى مواجهته حتى صارا وجهاً لوجه.

قالت شارلى وقد أصابها الارتباك والحيرة ولم تدر عما يتحدث:

ماذا تقصد؟

أنت ورامون.

أنا ورامون؟ لقد اصطحبنى إلى المستشفى فحسب، هذا هو كل ما فى الأمر.

صرخ نابحاً بصوت عال كالكلب:

هذا لا ينكلى على.

www.elromancia.com

ـ أنت تعتقد أننا أنفقنا الليلة بأكملها معاً؟

ـ وماذا أيضاً ينبغي على أن اعتقد فيه؟

ـ صرخت شارلى قائلة:

ـ إذن فاذهب إلى أمى واسألها. ولكن هذا ليس من شأنك فى شيء إننى إمرأة حرة يا برادين. وتوفيرك لسقف اعيش تحته لا يعنى أنك على حق فى إملاء أوامرك على فى أن أفعل شيئاً فى أوقات فراغى.

قال لاهثاً:

ـ لقد سبق أن حذرتك من التورط معه. لقد اتصلت كارمين هاتفياً بى.

وقالت إنها غاضبة من مصاحبتك لزوجها. لقد رآك الناس مع رامون.

ـ فى سيارته. أثناء الطريق إلى المستشفى، أليس كذلك؟ أجل، ولكن هذا هو كل ما فى الأمر. فمن يا ترى ذلك الذى رآنى. على أية حال، ليس ثمة إنسان ههنا يعرفنى.

ـ لا أعرف من الذى رآك، ولكن ذلك لا يعنينى فى شيء. لقد اتصلت هاتفياً ههنا كى تفحص ما إذا كان يعمل أم لا.

وأنت بدورك أخبرتها بأنه خرج معى!

ـ هل أبدو غبياً! ولكن لن يمضى وقت طويل قبل أن تكتشف ما يدور حولها.

هزت شارلى رأسها، وهى بعد غير قادرة على استيعاب المشكلات.

لم أكن مع رامون.

ربما لم تكونى معه طوال الوقت.

لم أكن معه أياً من الوقت. هذا شيء يدعو للسخرية يا برادين، لم أفعل شيئاً. وإذا كان رامون قد التقط فتاة أخرى بعد أن أوصلنى، فتلك مشكلته هو، وليست مشكلتى أنا.

ـ هل أنت متأكدة من أنك لست هى؟

أجابت شارلى فى نفاذ صبر:

أجل يا برادين، متأكدة جداً وللغاية. هل لى أن أنصرف الآن؟

راح برادين يتفرس فيها طويلاً ثم أخيراً صاح:

أنا آسف يا شارلى.

من فضلك لا تعتذر. إن ذلك ليس من طبيعتك فى شيء. وأنا قد اعتدت على إتهاماتك.

ـ أنا أعرف ما رأيته بعينى فحسب.

هذا صحيح، وأنا كذلك أعرف ما رأيته بعينى. لقد حثته استيفا على الدخول إلى المنزل بعد إنطلاق سيارة رامون. ولم تكن أنت تأبه بالمجيء ورائى والاهتمام بى. أين هى على فكرة؟ هل تنتظرك فى غرفة نومك المريحة؟ إذن من الافضل لك أن تسارع إليها. ولست أتخيل أنها تحب الانتظار طويلاً.

لقد عادت استيفا إلى بلادها.

اتسعت عينا شارلى وقالت ساخرة ومتهكمة:

يالك من مسكين.

التوى فم برادين وهو بعد فى حالة من السرور قائلاً:

ـ إذا لم أكن أعرفك جيداً، لقلت إنك غيورة.

ـ لست يهمنى شيء من علاقاتك العاطفية. لقد ظننت فحسب أنك لا تستطيع الإستغناء عنها. فهى لست من النوع الذى يصلح للاستقرار والزواج.

ـ ومن الذى قال بأننى أريد الاستقرار والزواج؟

هزت شارلى كتفيها وقالت:

ـ ذلك هو ما يريده معظم الناس. دعنا فحسب نقول بأنهم عاديون طبعيون.

إن الزواج شركة والتزام يستمر مدى الحياة على حد علمى واعتقادى. وليست لدى النية فى التورط فى مشكلات الطلاق أمام المحاكم بعد سنوات قلائل من الزواج. أريد التأكد من المرأة التى سوف أتزوجها وهل

www.elromancia.com

ستستمر لى نفس المشاعر أم لا؟

طأطأت شارلى برأسها علامة على الموافقة وقالت:

ـ إننى لأعجب بعواطفك، وأتمنى لك التوفيق.

ـ ألا تتمنين نفس الأشياء لنفسك؟

وكانت عيناه متعمدة النظر والتحدق فى عينها وهو يقول ذلك، الأمر الذى جعلها تذوب فى داخلها، وهى بعد تتمنى لو أنها تلك الفتاة التى لم يكن لها تلك العواطف.

ـ نعم كل فتاة تتمنى ذلك بطبيعة الحال، ومن تلك المرأة التى تبغض أو تكره الحب والزواج والاستقرار؟ بيد أننى الآن أشعر بالارهاق وأود لو سمحت لى بالإنصراف حتى أنال قسطاً من الراحة.

ـ أنت وشأنك.

ثم قالت له طاب مساؤك وانصرفت بسرعة إلى حجرتها وآوت إلى الفراش، وسرعان ما استغرقت فى نوم عميق.

الفصل العاشر

شفاء سبنسر

فى صباح اليوم التالى، توجهت شارلى وايزابيل بلبك وبرادين إلى المستشفى لزيارة سبنسر بلبك. ولما دخلوا عليه، كان سبنسر من الواضح أنه سعيد بزيارة ورؤية برادين وصاح:

ـ هل تعلم يا برادين أننى قلت لزوجتى وابنتى ذات يوم بأننى كنت أتمنى وأفضل لو رزقنى الله بأحد الأبناء، ولو حدث تمنيت أن يكون مثلك تماماً.

عند ذاك توردت وجنتا شارلى وتوهجتان امتلائها بالدم، ورفعت أمها حاجبيها دليلاً على استذكارها لكلام زوجها. ولكن برادين متجاهلاً رد فعلها، اضطرد فى الكلام، وأضاف:

ـ لقد تعشمت أن يكون لدى ابن. وإذ ن ذلك قد حدث، إذن لعلمته كيف يقتفى آثار أعمالى واستكشافاتى. إننى أريده أن يكون متحمساً بشأن حضارة «الاتكاس» مثلى تماماً بتمام.

قال برادين فى هدوء:

ـ أنى واثق أنك لن تخيب ظنك فى ابنتك.

ـ أوه، كلا، لا تغالطنى. إنها أفضل ابنة يتمناها لنفسه أى أب.

قال برادين يوافقه على كلامه، وهو يبتسم ابتسامة ناعمة لها:

ـ إنها فتاة رائعة.

حينئذ شعرت شارلى برعشة تصيب أوصالها، لما تلاقت عيونها مع عيونه. لقد كانت ثمة أشياء جديدة لم تلاحظها أو تعهدها قبلاً فى تعبيراته، لقد كان هناك نوع من النعومة والرقة نحوها، ولكنها كانت توقن

www.elromancia.com

بأن السبب فى ذلك يعود إلى غياب استيفا. وسيكون جنوناً منها أن تستجيب له.

وبعد دقائق من المحادثة، قال برادين:

ـ هل تمانع ياسبنسر فى أن تصاحبنى ابنتك على العشاء فى المدينة؟

ـ رائع، وأحب أن تحدثونى بما أكلمتوه فى الغد.

ـ سأفعل يا أبنى.

وطبعت قبلة على عينه، لقد أخذت تتحسن صحته وقوى بدنه، ويعود إلى الحياة.

وعندما وصلا إلى أحد الحانات الليلية. تناولا طعام العشاء، وراح كلهما يتحدث عن الحياة فى ليما وكيف أنها جذابة ظريفة. ثم سرعان ما انصرف حديثها وتطرق إلى المشاعر الشخصية والمواقف التى يتخذها كل منها إزاء الآخر. ولم يدخر برادين وسعاً فى أن يحاول استكشاف مشاعر شارلى نحوه، وهل تحبه أم لا.

ونجح برداين نجاحاً ذريعاً فى استخراج الاعتراف منها بأنها تحبه، قال لها بعد طول حديث من مشاعرها نحوه.

ـ وهل تحبينى يا شارلى.

أجابت شارلى مترددة، وقد أفضت بمكنون نفسها:

ـ أجل، يا برادين إننى أحبك.

شعر برادين بالسرور يعمر وجدانه وقال:

ـ وأنا كذلك أحبك يا شارلى.

ـ وماذا عن استيفا هل تحبها أم تراك تدخرها للمداعبات العاطفية فحسب.

ـ كلا إن استيفا مجرد صديقة، ولا يحب القلب سواك.

أصحيح ما تقول:

ـ أقسم لك بذلك.

ثم دفع برادين فاتورة الحساب وقال لها:

ـ دعينا نخرج إذن من هذا المكان.

واستوقفا تاكسياً وصعدا فيه، وأمره برادين بأن يتوجه بها إلى منزله.

وفى داخل السيارة قال برادين لشارلى:

ـ إننى أنوى تكوين أسرة والاستقرار بالزواج.

ـ هذا أمر خاص بك، ولا شأن لى به.

رد برادين سريعاً يقول:

ـ كيف؟ ألا تحبيننى؟ إن كنت تحبينى حقاً، فيتعين عليك أن تهتمى بكل مايصدر عنى من مواقف.

صاحت شارلى:

ـ ولماذا يا ترى؟

رد برادين قائلاً:

ـ لأننى سوف أتزوجك عنوة عنك! وبكل ما أوتيت من قوة. وأنا أحب ذلك الطراز من النساء المتمثل فيك. ولا يكفينى ابتعادى عنك أن أستحوذ على مائة من النساء الأخريات.

قالت شارلى:

ـ إذا كنت ترغب فى الزواج منى، فهلا ركعت على قدميك وتوسلت إلى بأن أقبلك زوجاً لى؟

ـ كلا. إننى فحسب أخطرك بما أعتزم أن أفعله، ألم أكن أنا دائماً الذى يتخذ القرار لكل منا؟

ردت فى نعومة ورقة:

ـ أجل يا سيدى!

ثم سرعان ما توقف التاكسى عند مقر إقامته. قالت شارلى:

ـ لا داعى لأن نهبط من التاكسى، هيا بنا نتوجه إلى أبى وأمى فى المستشفى أولاً كى نخبرهما بزواجنا، ثم نعود أدراجنا إلى المنزل.

ـ كلا. نحن الآن نريد الاحتفال معاً بتلك اللحظات السعيدة. أما

www.elromancia.com

عن أبيك وأمك، فإننى أعدك بأن أقيم عرس زفافنا فى المستشفى. إن أباك سوف يحب ذلك كثيراً.

ودخلا إلى المنزل وقد التف ذراع كل منهما حول خصر الآخر، وقالت:

ـ إذن سيحصل أبى أخيراً على الابن الذى كان يتمناه.

ـ هل كانت أمك على علم بأننى أحبك وأنك تحبيننى؟

أومأت شارلى برأسها وقالت:

ـ اعترف بأننى صرحت لها بكل مكنون صدرى لها.

ـ هل كان رامون على معرفة بحبك لى؟

ـ أجل، لقد لاحظ ذلك هو أيضاً.

ـ إذن لقد كنت أعمى عما يدور حولى. وكنت أعاملك بمنتهى القسوة. فهلا سامحتينى؟

ـ أجل، ولكن بعد جرعة حب كبيرة تسقينى إياها.

ـ هل تحبين ذلك منى؟

ـ أجل، ولم لا مادمت سوف تصبح زوجى المستقبل.

ـ فى تلك الحالة، عزيزتى مدام كوبست، أفضل أن أفعل ذلك الآن.

ودفع الباب ففتحه، واقتحمها بين ذراعيه. وكانا فى منتصف الطريق على الدرج قبل أن تجاهد فى تحرير نفسها منه. قالت:

ـ حسناً. إذا كان يروقك ذلك يا برادين، فأننى أحب أن أنتظر حتى يتم زواجنا. إذ أننى فتاة محافظة من الجيل القديم.

ـ الفتيات المتحفظات لا يرتدين البنطلون. والسيدات المعاصرات هن اللائى يرتدين البنطلون هذه الأيام، كما أنهن لا يمانعن فى الذهاب إلى الفراش مع أزواجهن المستقبليين.

ـ إن أمى سوف تصاب بصدمة.

ـ إنك تقومين بعمل مساومات شاقة، يا شارلى بلبك. فهل لديك

فكرة عما يختلج داخل نفسى من مشاعر فى هذه اللحظة؟

ابتسمت وقالت:

ـ تماماً كما يحدث داخلى من أحاسيس. ولكننى أعتقد بأن تلك المشاعر فية وخلقية بأن تنتظر يا برادين.

أصدر أنيناً ثم احتضنها احتضاناً وثيقاً وصرح:

ـ أنت على حق بطبيعة الحال. ولكننى أحذرك، لسوف أرتب الأمور غداً فى الصباح، وسوف يتم عقد الزفاف بمجرد انتصاف نهار الغد.

ـ أجابت القول:

ـ لا يهمنى كثيراً توقيت عقد ذلك الزفاف.

ـ لماذا ألا تشتاقين إلى أحضانى وقبلاتى.

أجل ولكن، هل ذلك أمر عاجل لا يحتمل الانتظار؟

ـ من وجهه نظرى أنا هو فى منتهى العجلة ولا يحتمل المزيد من الانتظار!

ـ هل أنت متأكد من ذلك؟

ـ تماماً، كما أننى متأكد من أن اسمى برادين كوبست، البحاثة.

ـ إذن عليك أن تعانى أيها الفتى.

ـ ألا تحاولين التخفيف من معاناتى.

سأحاول. ولكن ليس كثيراً.

ـ شارلى حبيبتى إننى أتعهد لك بأننى سوف أبذل كل ما فى وسعى وأدخر فى جعبتى من محاولات من أجل اسعادك وأن أجعلك زوجة راضية ترفل فى نعيم السعادة وهيام الوجدان الجذلان. ثم لا! أبقى من بعد ذلك كله على شىء يحول بينى وبين أن أضعك فى سويدان القلب وداخل جفونى التى صارت تعشق رؤياك كل حين وكل آن، صباحاً ومساء فى كل الأوقات.

ـ إذن أنت يا برادين سوف تجعلنى طماعة كثيرة المطالب!

ـ أليس كذلك؟

www.elromancia.com

ـ صاح برادين فى سرعة:

ـ لا شأن لك بكثرة مطالبك، ما كان منها متيسراً فعلته، وما كان متعسراً تفاهمت معك بشأنه. فما رأيك فى ذلك يا زوجتى الحبيبة؟ عند ذلك الحين؟ شعرت شارلى بالدموع تنسكب وتنساب على وجنتيها بدون توقف. مما جعل برادين يسألها قائلاً:

ـ والآن ما الذى يضجرك؟

ـ وقد أخذ بوجهها بين يديه، واح يجفف الدموع المنسكبة بأنامله.

قالت شارلى:

ـ أوه. يا برادين. أنت لا تعرف الكثير عن مشاعر الفتيات. إننى سعيدة للغاية، ألا ترى ذلك. إن هذه دموع الفرح إننى سعيدة جداً جداً.

ولم تتوقف دموع برادين وهو بعد قد فشل فشلاً ذريعاً فى أن يوقف دموع فتاته.

www.elromancia.com